

مطبوعات دير  
السيدة العذراء . السريان

سلسلة تاريخ

الباباوات بطاركة الكرسي الاسكندري

الحلقة الرابعة

من البطريك 88 إلى البطريك 103  
(1409 . 1718م)

جمع المرحوم الشماس  
كامل صالح نخله الاسكندري  
عضو لجنة التاريخ القبطي

حقوق الطبع محفوظة للدير

الطبعة الثانية

1717ش . 2001م

تنقيح ومراجعة

الأب متا أويس

أسقف دير السريان العامر

## CUN YEW IC,UROC

### تصدير

ليس التاريخ مجرد حوادث تسرد وتسجل، ولكنه حياة الماضى ذات الأثر الفعال فى المستقبل. هو خبرة الأجيال وعبرة السنين. هو السلم الذى ارتفعت عليه البشرية عاما بعد عام حتى وصلت إلى درجتها الحالية. لذلك فهو جزء هام من كياننا لا يمكن تجاهله أو تناسيه.

والطبيب لا يمكن أن يصف الدواء إلا إذا اكتشف تاريخ الداء. والمصلح الاجتماعى لا يمكن أن يعالج المشكل إلا إذا استعرض المراحل التى مرّ عليها. وإذ نقف الآن على أبواب عصر يرنو إلى الإصلاح والمجد، ويتحفز للرقى والنهوض، فما أحوجنا إلى دراسة تاريخنا كأمة وككنيسة لنستقرئ من ثنايا الحوادث عوامل السمو والرفعة فنرجع إليها، وأسباب العثرة والانهيال فنزيلها وننقيها، وبذلك نبني آمالنا على أسس عملية مدروسة تستلهم روح الآباء وتسير على نبراسهم. معتمدة على قوة السماء التى سيّجت حول كنيستنا على مر الأجيال وحافظت عليها فى أحلك الايام، لتبقيها شاهداً أميناً يخبر بقوة الرب وخلصه العجيب.

له المجد الدائم إلى الأبد أمين،

دير السريان

+++++

أولاً - المخطوطات:

- (1) تاريخ البطارقة لاسقف فوه بمكتبة دير السريان ومكتبة العلامة جرجس فيلوثاوس عوض.
  - (2) كتاب تاريخ البطارقة رقم 15 تاريخ بمكتبة الدار البطريركية.
  - (3) كتاب تاريخ البطارقة رقم 101، 102، 103، 106، 286 طقس بمكتبة الدار البطريركية.
  - (4) كتاب الابقطى (فصل جدول البطارقة) للأسد بن العسال بمكتبة الدار البطريركية رقم 1 متنوعة.
  - (5) كتاب التواريخ لابي شاكرا بن الراهب بمكتبة العلامة جرجس فيلوثاوس عوض.
  - (6) كتاب مصباح الظلمة فى ايضاح الخدمة (فصل جدول البطارقة) لابن كبر بمكتبة العلامة جرجس فيلوثاوس عوض.
  - (7) كتاب رقم 291 لاهوت مكاتبات كيرلس بن لقلق بمكتبة الدار البطريركية.
  - (8) كتاب 47 تاريخ بمكتبة الدار البطريركية.
  - (9) كتاب الاسفار رقم 50 مقدسة بمكتبة الدار البطريركية.
  - (10) كتاب البصخة رقم 312 طقس بمكتبة الدار البطريركية.
  - (11) قطمارس شهر طوبة رقم 55.13 طقس بمكتبة كنيسة العذراء بحارة زويله.
  - (12) قطمارس شهر بؤونة ريقم 57.15 طقس بمكتبة كنيسة العذراء بحارة زويله.
  - (13) سنكسار رقم 45 (أ) بالمتحف القبطى.
  - (14) كتاب رقم 128 طقس تاريخ عمل الميرون وظهور أعجوبتين بالمتحف القبطى.
  - (15) كتاب رقم 230 لاهوت بمكتبة الدار البطريركية.
  - (16) كتاب رقم 389 طقس بمكتبة دير القديس أنطونيوس.
  - (17) سنكسار رقم 343 طقس بمكتبة دير القديس أنطونيوس.
  - (18) سنكسار رقم 236 طقس بمكتبة دير القديس أنطونيوس.
- ثانياً - المطبوعات:
- (1) تاريخ الأمة القبطية ليعقوب بك نخله روفيله..
  - (2) تاريخ الكنيسة للقمص منسى.
  - (3) الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة للأسقف ايسودوروس.

- (4) كتاب تقويم تواريخ الأزمنة المسيحية في مصر واثيوبيا للعلامة (شِن).
- (5) التوفيقات الإلهامية للواء مختار باشا طبع مصر سنة 1889م.
- (6) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية جمع الآب لويس شيخو اليسوعى.
- (7) قاموس لاروس القرن العشرين.
- (8) كتاب التبر المسبوك في ذكر السلوك للشيخ السخاوى طبع بولاق سنة 1896م
- (9) تاريخ وجداول بطاركة الكرسي تأليف الشماس كامل صالح نخله.
- (10) تاريخ الأمة القبطية تأليف مسز بتشر.

#### ملحوظة:

ترقيم المخطوطات بالورقة وليس بالصفحة. فالورقة ترقم واحد ويعطى نفس الرقم للوجه والظهر. وعند ذكر مراجع كل مخطوطة سنضع الرقم بمفرده للوجه والرقم مقروناً بـ (أ) للظهر.

### **البابا غبريال الخامس**

#### **البطيريك (88)**

1- نبوة البابا متاؤس عن خليفته فى البطيريكية

لما تتيح البابا متاؤس الأول البطيريك (87) ظل الكرسي بعده خاليا مدة ثلاثة أشهر وعشرين يوماً. وقد كان قبل انتقاله من هذا العالم تنبأ أنه سيكون الأب غبريال

الراهب بدير القلمون بالفيوم سيكون البطريك الذى يتبوأ العرش المرقسى بعده (كتاب 15 تاريخ ص 296 "أ").

#### 2- تحقيق نبوة متاؤس الأول

ولما اجتمع مجمع الأساقفة وأراخنة الشعب بعد نياحة البابا متاؤس بنحو ثلاثة أشهر ونصف لإنتخاب خليفته على الكرسى البطريكى فتذكروا نبوة هذا البابا ورشحوا الراهب غبريال المذكور ليكون بطريكا على الكرازة المرقسية فرسموه بطريكا فى يوم 26 برموده سنة 1125ش الموافق 21 أبريل سنة 1409م. فى أيام سلطة الملك فرج بن برقوق (كتاب 15 تاريخ ص 296"أ" وفوه ص 183 "أ").

#### 3- البطريك غبريال الخامس

تبوأ العرش البطريكى البابا غبريال الخامس وكان يقب بمستوفى الجيزة وعرف باسم غبريال الأمد وكان قبل رهبنته موظفا فى الحكومة المصرية واعتزل الخدمة وترهب (فوه ص 183"أ").

#### 4- فراغ خزانة البطريكية

وفى مدة رئاسة البابا غبريال فرغت الخزانة البطريكية من المال وصار يعتمد البابا فى الحصول على قوته الضرورى على مساعدة أولاده الأراخنة وكانت الكنيسة الحبشية ترسل إعانة سنوية للكنيسة المرقسية فقطعتها فى عهد هذا البابا. وتحمل قداسته كل هذا بصبر وتواضع وصار يحمد الله على كل حال.

#### 5- رسامة بطريك أنطاكى فى مصر

وقد قدم فى أيام هذا البابا من أورشليم أحد رجال الكهنوت الأنطاكى اسمه مار باسيليوس بهنام لرسامته بطريكا على المدينة المحبة لله أنطاكية. فقام البطريك غبريال الخامس بعقد مجمع تقرر فيه تكليف الآباء الاساقفة أنبا ميخائيل اسقف سمنود المعروف بالغمرى وأنبا غبريال اسقف أسيوط الشهير بابن كاتب القوصية الذى كان رئيسا لدير أبى مقار وأنبا كيرلس السريانى مطران القدس المعروف بابن نيشان والقس الأسعد أبو الفرج كاهن بيعة القديس مرقوريوس أبى سيفين بمصر القديمة الذى صار بطريكا بعد البابا غبريال الخامس، بالقيام بهذه الرسومة.

فقام هؤلاء الآباء بتكريز مار باسيليوس فى بيعة القديس مرقوريوس أبى سيفين بدرب البحر بمصر المحروسة فى سنة 1138ش الموافقة لسنة 1412م وقام القس أرميا بقراءة أواشى البطريكية جميعها وتمت رسامة البطريك باسم أغناطيوس

التاسع أو أغناطيوس بهنام الأول البطريك (82) فى العدد من بطاركة السريان وهو باسيلي بهنام مقربان المشرف وقد رشحه للبطيركية مجمع دير الزعفران ورسم بوضع يد ديسقورس بهنام شتى مطران دير ملكى وتمت رسامته فى الدير المصرية كما تقدم وبعد إتمام رسامة البطريك الانطاكى فى مصر سافر إلى أورشليم بعد أن زوده البابا غبريال الخامس بكل ما يحتاج اليه السفر حتى الدابة التى يرسم ركوبه إلى بلاده. وقد قام بتوذيعة لفيف من الكهنة وأكابر الاراخنة حتى وصلوا به إلى المطرية (كتاب 286 طقس بالدار البطيركية ص 15 "أ" و 39 "أ" وشين ص 256 والخريدة النفيسة ص 450 جزء ثان).

#### 6- بساطة معيشة البابا غبريال

وكان البابا غبريال لا يستعمل الركوبة فى تنقلاته بل كان ينتقل من مكان إلى آخر بالسير على قدميه وكانت كل معيشته فى غاية التقشف والبساطة رغم ما كان يقاسيه من الإضطهاد الشديد.

#### 7- تكليفه بمنع الاحباش من مضايقة التجار المسلمين

وكان فى عهده يلقى التجار المسلمين فى بلاد الاحباش معاملة سيئة فدعته الحكومة المصرية فى سنة 1418م ولما مثل أمام مجلس الحكومة هددته بالموت إذا لم يمنع الاحباش الذين تحت سلطته من مضايقة التجار المسلمين النازلين فى بلادهم فوعدهم بالاتصال بملك الاحباش ليمنع هذه المعاملة.

#### 8- قيامه باصلاح ما أفسدته يد الاضطهاد

ورغم ما قاساه هذا البابا الوديع من الاضطهاد الشديد مدة رئاسته فإنه بذل مجهوداً كبيراً فى سبيل اصلاح ما أفسدته يد الاضطهاد والمحافظة على شعبه من قسوة رجال الحكومة.

#### 9- مؤلفات البابا غبريال الخامس

ورغم الاضطهاد الشديد الذى كان محيطاً به فلم يتأخر قداسة البابا عن القيام بواجباته الثقافية والتعليمية الدينية فوضع كتاباً فى الطقوس الكنسية.

#### 10- انتقال البابا من هذا العالم

واستمر البابا غبريال الخامس فى الرئاسة مدة سبعة عشر سنة وثمانية شهور واثنا عشر يوماً وتنتيخ فى يوم 8 طوبه سنة 1143ش الموافق 3 يناير سنة 1427م فى أيام السلطان أبو نصر الاشرف ودفن بإكرام فى بيعة بابلون الدرج وخلق الكرسى بعده مدة أربعة أشهر وثمانية أيام (كتاب 15 تاريخ ص 296 "أ" وفوه ص 183 "أ").

## البابا يوانس الحادى عشر

### البطريك (89)

#### مقدمة التاريخ

لم يذكر ذيل كتابى تاريخ البطاركة لساويرس بن المققع اسقف الاشمونين ويوساب اسقف فوه وكذا ذبول جداول بطاركة الكرسى الاسكندرى لابن العسال وابن الراهب وابن كبر شيئاً عن البابا يوانس الحادى عشر فى الاسم التاسع والثمانين فى العدد واقتصرت جميع هذه المصادر على ذكر تاريخ تقدمته وتاريخ نيافته ومدة اقامته على الكرسى ولكنى عثرت فى كتاب "التبر المسبوك فى ذيل السلوك" لمؤلفه الشيخ السخاوى المطبوع بمطبعة بولاق الاميرية فى سنة 1896م على أخبار هامة وحوادث عامة وقعت فى أيام بطريكية هذا البابا تساعد على وضع تاريخ مفصل لسيرته.

وقد أطلق السخاوى فى تاريخه على هذا البابا تارة اسم مؤنس بطريك النصارى اليعاقبة (ص39) وتوراً اسم فرج اليعقوبى النصرانى بطريك النصارى (ص409). فاسم فرج هو الاسم الذى كان يحمله هذا البابا قبل اختياره للبطريكية واسم مؤنس فهو اسم بعد البطريكية محرفاً من اسم يوانس واشتهر هذا البابا باسم يوانس المقسى نسبة لموطنه المقس بضواحي القاهرة (فوه ص 183"أ") ومحلها الآن بقرب جامع أولاد عنان بباب الحديد.

### 1- اختياره للبطريكية

بعد انتقال البابا غبريال الخامس البطريك (88) الشهير مستولى الجيزة فى 9 طوبه سنة 1243ش الموافق 3 يناير سنة 1427م ظل الكرسى شاغراً مدة أربعة أشهر وثمانية أيام ثم اجتمع المجمع المقدس واختار بالاتفاق مع الاراخنة القس الأسعد أبو الفرج خادم بيعة مرقوريوس أبى سيفين بدرج البحر بفسطاط مصر

الشهير باسم فرج المقسى وأقاموه بطيركا فى يوم الاحد الموافق 16 بشنس سنة 1143ش (11 مايو سنة 1427م) باسم البابا يوانس الحادى عشر البطريرك (89) فى عهد سلطنة الملك الأشرف برسباى من دولة المماليك وخلافة المعتضد الثالث داود أبى الفتح بن المتوكل العباسى. وقد كان الاختيار والرسامة باجماع عام من علماء القبط وأكابرهم (كتاب 15 تاريخ ص 296"أ" وفوه ص 183"أ").

## 2- أهم حوادث البلاد فى عهده

تولى الملك الأشرف عرش المملكة المصرية فى 8 ربيع آخر سنة 825هـ الموافق أول أبريل سنة 1422م وحصلت زلزلة بمصر فى سنة 1424م ثم توقف النيل بعد الوفاء وهبط سريعاً فى سنة 1429م فشرقت البلاد ووقع الغلاء وظهر الوباء ومات الخليفة المستعين بالله أبو الفضل. وفى سنة 1431م (834هـ) حرم على الباعة أن يتعاملوا بالعملة الاجنبية وحتم عليهم التعامل بالنقود الاشرفية (التوفيقات الالهامية).

وفى يوم 8 يونيه سنة 1438م (13 ذى الحجة سنة 841هـ) توفى الملك الأشرف بعد أن حكم مدة سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام وكانت مصر فى أيامه سعيدة داخلا وخارجا (تاريخ مصر الحديثة لجورجى زيدان).

وبعد وفاة الاشرف تربع على سرير الملك ابن الأشرف المدعو جمال الدين يوسف ولقب بالملك العزيز وفى أيامه انتشر فى مصر فى سنة 842هـ (1438م) وباء شديد وفى يوم 19 ربيع أول سنة 842هـ (9أكتوبر سنة 1438م) عزل الملك العزيز وبويع أتابك جيشه سيف الدين جقمق ولقب بالملك الظاهر (التوفيقات الالهامية).

ثم توفى الامام المعتضد الثالث فى 4 ربيع أول سنة 846هـ الموافق 13 يوليه سنة 1442م وأوصى قبل وفاته أن تكون الخلافة بعده لأخيه فبايعوه ولقبوه بالمستكفى بالله الثالث العباسى. وكان صديقاً للسلطان جقمق. وفى هذه السنة تعصب العبيد فى بر الجيزة وأقاموا لهم سلطانا ووزراء فصار القبض عليهم وبيعهم فى المملكة العثمانية (التوفيقات الالهامية).

وفى سنة 1449م غلت الاسعار حتى وصل سعر الاردب من القمح خمس أشرفيات ثم تناهى إلى سبعة وغلا كل شئ وارتفعت أسعار البضائع حتى بيع رطل



الخبز نصفين واستمر هذا الغلاء مدة سنتين نال الشعب أثنائها أقصى الاهوال وأفظع المجاعات.

ثم فى أثناء كارثة الغلاء تفشى وباء الطاعون فى مستهلها فى البلاد وازدادت وطأته ثم خفت إصابته فى أيام خماسين المسيحيين (السخاوى ص245).

وزاد البلاء فى البلاد عندما وقف النيل فى سنة 1450م عن الوفاء فضج الناس وشحت الغلات من الساحل واشتد قلق العالم ووقع الغلاء وبلغ سعر القمح سبعة دنانير لكل أردب. وفى هذه السنة توفى الخليفة المستكفى وبويع أخوه ولقب بالقمم بأمر الله العباسى ولم يكن على وفاق مع السلطان كما كان عليه سلفاؤه لانه كان يطمع فى السلطنة لتحقيق مآربه (مصر الحديثة والتوقيقات الالهامية).

3- أهم حوادث البيعة واخبارها

(أ) زيارة بطريرك أنطاكية لبطريرك الاسكندرية

ولما جلس البابا يوانس الحادى عشر على الكرسى المرقسى حضر البطريرك مار باسيلوس بهنام المعروف باسم أغناطيوس التاسع بطريرك أنطاكية إلى الديار المصرية فى سنة 1146ش الموافقة لسنة 1430م للقيام بتهنئة البابا على اعتلائه الكرسى المرقسى لسابق المعرفة به عند رسامة هذا البطريرك الأنطاكى فى مصر. فاحتفى البابا يوانس بمقدمه وأكرم وفادته وتشاركاً معاً فى الخدمة الكهنوتية وفرحت البيعة وكل الشعب الارثوذكسى بمحروستى مصر والقاهرة.

(ب) طبخ الميرون المقدس للكرسى الأنطاكى

ويعد أن استراح البطريرك السريانى الانطاكى احاط البابا الاسكندرى علماً بأن الميرون المقدس قد نفذ من كرسيه وانه ليس عنده خميرة ليطبخ بها الميرون المقدس وانه حضر خصيصاً إلى الديار المصرية لطبخه.

ثم توجه مارباسيلوس إلى بيت كاهن مبارك سريانى الجنس يعقوبى المذهب يسمى القس يوحنا بن العشير وسكن فى حارة النصرى بسويقة صافية بالقاهرة المحروسة وكانت زوجة هذا القس قد تتيحت وأصبح أرملًا. فاستخار مارباسيلوس خزانة فى بيت هذا القس وقدها. وكان بصحبة هذا البطريرك ماركيرلس مطران أورشليم المعروف بابن تيشان واجتمع عنده قسس السريان ولم يحضر معه قسس من جماعة المصريين لان مرض الطاعون كان متفشياً فى المدينتين ومات أولاد الناس

جميعهم والتهى الخلق فى دفن الموتى ولم يفرغ الأب لولده ولا الابن لوالده من كثرة الاموات.

ثم وجه البطريرك مارياسيليوس اهتمامه بحوايج الميرون وانتقل إلى كنيسة السيدة العذراء بالمعلقة وأودعه بداخل المذبح فوق العرش وكان بصحبته المطران والكهنة السريان واحتفل البطريركان الاسكندرى والانطاكى بيعد الشعانين المجيد وأقام الجميع بالقلالية البطريركية مستمرين فى اقامة صلوات جمعة الآلام إلى باكر يوم الخميس العظيم وأكملوا صنع الميرون المقدس.

وبعد ذلك أقم مارياسيليوس فى محروستى مصر والقاهرة إلى شهر مارس ثم استأذن للسفر وودع البابا يوانس وتوجه وصحبته الميرون المقدس إلى مدينة الله أورشليم المقدسة وتوجه لتوديعه للمطرية بعض الكهنة والاراخنة وزودهم بالبركة وزوده كل منهم بما وصلت اليه قدرته وتوجه بسلامة الله وعادوا هم أيضاً إلى مساكنهم شاكرين الرب (كتاب رقم 101 طقس ص 12 و13).

(ج) عادة القبط فى أول الصيف

اعتاد القبط من قديم الزمان أن يلبسوا البياض فى الصيف عند الاسبوع الأول من شهر بشنس فى كل عام وكانت هذه العادة متأصلة عند مواطنيهم المسلمين ورجال الدولة ولكن فى شهر الحجة من سنة 845 (برموده سنة 1158ش) اشتد الحر فى يوم 11 منه فلبس السلطان الظاهر البياض فى السابع عشر من برموده سنة 1158ش (22 أبريل سنة 1442م) فتقدم قبل عادة القبط بعشرين يوماً (السخاوى ص20).

(د) الكشف على كنايس النصارى واليهود

قام الشيخ الامير الاقصرانى من مشايخ الاسلام فى شهر ذى الحجة سنة 845هـ (أبريل سنة 1441م) بكشف كنايس اليهود والنصارى بتبنيه السيد شهاد الدين أحمد النعمانى المصرى فابطلت عدة كنايس وختم على أبوابها إلى أن يتضح أمرها. منها واحدة للملكيين وجد فيها دعائم بالحجر الفص النحيت مثل الأعمدة فادعوا انها كانت ذات أعمدة من الرخام فاحترقت سنة 730هـ (1330م) وزعموا ان بيدهم لها محضراً يثبت على يد القاضى جلال الدين القزوينى صاحب تلخيص المفتاح وقاضى الديار المصرية فى الدولة الناصرية وأذن فى مرمتها فرمموها بالحجارة وهى دون الرخام (السخاوى ص 20 و21).

وبعد ذلك اسرعوا باظهار المحضر المشار اليه وتاريخه سنة 734هـ (1334م) وكان هذا بعد أن ثبت في هذا الوقت انها من الحجارة الجديدة وكونها محدثة مع أنه ليس لهم الاعادة إلا بالنقض أو دونه فلما ظهر المحضر وقع بين القضاة وغيرهم في ذلك نزاع وانفصل الحال على أن كل ما حكم فيه النايب الشافعي يكمله على مقتضى مذهبه وما عدا ذلك يتولى القاضى المالكى الحكم فيه (السخاوى ص 36).

(هـ) سعى ملوك الأفرنج وامبراطور القسطنطينية لاتحاد الكنايس

في خلال الجيل الخامس عشر للميلاد قويت شوكة المملكة العثمانية في أوروبا واستولت على كثير من بلاد الروم. ولما رأى امبراطور القسطنطينية يوحنا الثامن الباليولوجى أن لا إستطاعة له على مقاومتهم ولا سلامة لما بقى لدين بلاده إلا بمساعدة ملوك الفرنج والتقرب منهم خرج من بلاده وصار يطوف الممالك الغربية لقصده عقد اتفاقية مع ملوكها على إخراج المسلمين من أوروبا.

ولما كان من المهم زوال الخلاف الدينى بين الشرق والغرب وإيجاد الاتحاد بين النصارى الغربيين والشرقيين فبعد بذل مجهودات خطيرة ومخابرات طويلة استقر الرأى على عقد مجمع دينى لهذا الغرض بمدينة فلورنسا من أعمال ايطاليا يحضره بابا روميه أوجانوس الرابع وبطريك القسطنطينية يوسف الثانى وغيرهما من نواب الشعب الارثوذكسى (تاريخ الأمة القبطية ليعقوب بك نخله ص 244 وقاموس لاروس القرن العشرين جزء ثالث (فلورنسا) (حنا).

وقد عقد المجمع أولاً فى مدينة بال ثم بعد ذلك انتقل إلى فيراره إلى أن انعقد أخيراً فى مدينة فلورنسا. وقد افتتح العمل فيه فى فلورنسا فى أيام البابا أوجانوس الرابع فى 26 فبراير سنة 1439 وانتهى المجمع بإتحاد الكنيستين الشرقية والغربية ولكن الكنايس الشرقية رفضت هذا الاتحاد فلم يقيم إلا زمناً قصيراً [لاروس القرن العشرين جزء ثالث ص 528 (فلورنسا)].

ولما كان الغرض الأساسى من عقد مجمع فلورنسا أن يتم الاتفاق بين الكنايس الشرقية والكنايس الغربية على الاتحاد بدل الانقسامات الحالية فقد أرادت الامة القبطية الاشتراك فى أعمال هذا المجمع بناء على الدعوة الموجهة اليها فارسلت نائباً من قبلها إلى فلورنسا ليحل مكانها فى هذا المجمع الحافل وقد قام بهذه النيابة رئيس دير أنبا أنطونيوس الشهير .

وكان وصول النائب القبطى الارثوذكسى إلى فلورنسا عقب إنقضاى جلسة المجمع واستعداد بطريرك القسطنطينية الارثوذكسى للعودة إلى كرسيه الا أنه بكل أسف تتيح فى هذه الليلة وكانت نياحته سببا فى فسح الاتحاد المبدئى بين الكنيستين الشرقية والغربية.

ولما لم ير النائب القبطى الارثوذكسى بدأ من العودة إلى مصر طلب التصريح له بقبول نائب عن الكنيسة القبطية فى المجمع المزمع انعقاده وكان ذلك قبل إعلان فسح الاتحاد الذى كان يسعى إلى تحقيقه امبراطور القسطنطينية ولم يتم بسبب تجاوز بابا روميه حد الاعتدال فى طلباته (تاريخ الامة القبطية ص 245). وعاد الشقاق بين الكنائس الشرقية والغربية قائما إلى وقتنا هذا ومما زاده تعقيداً ما قامت به الكنائس الغربية من إدخال تعاليم غريبة عن معتقدات وتقاليد الكنائس الشرقية.

#### (و) اضطهاد النصارى واليهود

وفى شهر محرم سنة 846هـ (مايو سنة 1442م) حصل على النصارى واليهود من الذل والاهانة والتعريم ما يفوق الوصف. أما النصارى فلأجل ما وجد بداخل كنيسة الملكيين منهم كما تقدم ذكره من الأعمدة والاكتاف الجدد التى صنعت من الحجارة المنحوتة حيث ختم عليها وعلى غيرها من الكنائس بمصر والقاهرة لوجود التجديد فى جميعها وحيل بينهم وبين الدخول إليها بقيام الامينى الاقصرانى إلى أن يظهروا مازعموه من المستند الشاهد لهم بذلك (السخاوى ص 36).

أما اليهود فانه فى 4 ذى الحجة من سنة 845هـ (15 أبريل سنة 1441م) توجه القاضيان الشافعى والحنفى والمحتسب فى جماعة إلى كنيس اليهود بقصر الشمع فوجدوا منبراً بثلاث عشر درجة يشبه أن يكون قريب العهد بالتجديد. فتشاوروا فى أمره وفى أثناء ذلك ظهر فى الدرجة التى يقف عليها كبيرهم كتابة يلوح أثرها. فقال لهم الشافعى تأملوا هذه الكتابة فتداولها جماعة من الحاضرين حتى تبين انها "محمد" وهى ظاهرة و "أحمد" وهى خفية واقتضى الرأى إزالة المنبر المذكور. فصورت دعوى وحكم القاضى علاء الدين بن اقبرس أحد النواب من الشافعية وناظر الاوقاف بإزالته وتأخر المحتسب لذلك وتفرقوا (السخاوى ص 20).

وفى محرم سنة 846هـ (مايو سنة 1442م) طلب الحنفى جماعة من يهود الكينس التى وجد فيها امتهان الاسمين كما تقدم وسألهم عن ذلك فقالوا: "إننا لم نفعل

ذلك ولم نعلم من فعلوا" واجمعوا على المباهة بالأفكار والتصميم عليه جريا على بهتهم. ففرق القاضى بينهم والح فى استخبارهم حتى اعترف احدهم بأنه كان يصعد ذلك المنبر. فبادر القاضى وأمر بضربه فضرب ضرباً مبرحاً وشهر به واعترف منهم آخران بمحاqqة الأول ومكابرته لهم فضربهما أيضاً وشهرهما فلم يلبث أن مات الأول وأسلم أحد الآخريين وتوعك الثانى ثم مات (السخاوى ص36).

ومما زاد فى اضطهاد اليهود مسألة دار ابن سميح الاسرائيلى الكائنة بحارة زويله وكانت موصدة لتعليم أطفال اليهود وسكنى لهم فاحدثوها كنيس عن قريب وادعى أحد نواب الحنفية على جماعة اليهود ان الدار المذكورة مستحقة لبيت المال بمقتضى ان ابن سميح مات ولم يعقب ولم يترك ولداً ولا أسفل من ذلك ولا عاصباً ولا من يحجب بيت المال عن استحقاقها وان رؤساء اليهود القرائين ومشايخهم يتداولون وضع اليد عليها خلفا عن سلف بغير طريق شرعى. فطالبهم القاضى برفع أيديهم منها وتسليمها لمن يستحقها. فاجابوا بأنها بأيديهم على هذه الوجه وتلقوها عن اباؤهم وأجدادهم ثم صدر الحكم بعد ذلك بنزعها من أيديهم وتسليمها لبيت المال ونودى عليها فى يوم الاربعاء 12 محرم سنة 846هـ (24 مايو سنة 1442م) (السخاوى ص 36 و37 و38).

#### (ز) مجلس جامع للمسلمين والنصارى واليهود

وبعد ما تقدم من أمر اليهود والنصارى رسم السلطان بعقد مجلس بحضوره والقضاة الأربعة وغيرهم وأحضر البابا يوانس الحادى عشر البطريرك (89) بطريرك القبط الارثوذكس و الانبا فيلوثاوس البطريرك المتولى على الملكيين (من سنة 1439 إلى 1446م) وعبد اللطيف من طايفة اليهود الريانيين وفرح الله أحد مشايخ اليهود القرائين وابراهيم كبير طائفة اليهود السامريين وانعقد مجلسهم هذا فى الاسبوع الأول من شهر محرم سنة 846هـ (مايو سنة 1442) وسئل النصارى واليهود عن العهد المكتوب على أسلافهم فلم يعرفوه ودار الكلام فى المجلس فيما يؤمرون به إلى أن اقتضت الاراء السعيدة تجديد العهد عليهم على وفق المنقول عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سيما وقد سأل اكابرهم الخمسة فى ذلك. وحينئذ فوض السلطان لشيخ الشافعية الكلام فيه وان يتوجهوا فى خدمته إلى بيته وانفض المجلس. ولما حضر رؤساء الطوائف الخمسة بباب الشيخ الأكبر استدعاهم بين يديه فقال لهم بعد أن سالوه فى ذلك: "قد اقررتكم" وأرسل بهم إلى القاضى المالكى فاستشهدوا عن

أنفسهم ان كلا منهم ألزم نفسه إلزاماً شرعياً أنه لا يجدد فى كنيسة له ولا فى دير ولا فى قلاية ولا فى صومعة ولا فى بيعة مما هو كائن فى مملكة السلطان بنفسه ولا بمن يستعين به بناء ولا غيره ولا يرم ما خرب أو تعيب من جدرانها وأخشابها وغير ذلك بالآلات القديمة ولا غيرها ولا يدفع لمسلم خماً بببيع أو بغيره ولا يسقيه له. ومتى خالف ذلك أو شيئاً منه كان جزاؤه أن يخرب السلطان جميع تلك الكنيسة أو الدير أو القلاية أو الصومعة أو البيعة التى يفعل فيها ذلك وان يفعل فيه ما يقتضيه رايه وجعل ذلك شرطاً على نفسه وألحقه بالشروط المتقدمة التى عوهد عليها قبل تاريخه عند شيخ الشافعية. ورضى كل منهم؛ لما علم بنفسه وللإسلام والمسلمين فى ذلك من الحظ والمصلحة ثم حكم بصحة هذا قاضى المالكية (السخاوى ص 39 و40).

#### 4- بعثة حبشية فى مصر

وفى يوم 21 نوفمبر سنة 1443م الموافق 24 هاتور سنة 1159ش (28رجب سنة 847هـ) قدمت جماعة من عند صاحب الحبشة الملك ذرع يعقوب المعروف باسم قسطنطينوس الأول الذى تولى الملك من أبريل سنة 1443 إلى سنة 1467م (شين ص 246).

وكان ضمن هذه الجماعة الوافدة من الحبشة شخصية كبيرة موصوفة بالشجاعة وشخصية أخرى اسمها عبد الرحمن التاجر وكان معه أكثر من مايتى رفيق فتمثل بين يدى سلطان مصر وهو فى الحوش واحضرت هدية مرسله وهى سبعون جارية وطشت وإبريق من ذهب وسيف مسقط بذهب وحياسة وبناد ومهماز كل ذلك من ذهب وغير ذلك وقدم كتاب الملك ذرع يعقوب خاص بما عمل فى الكنايس نصه كالاتى:

(أ) نص كتاب النجاشى ملك الحبشة الصادر لملك مصر

"المحب الصادق ذرع يعقوب المكنى قسطنطين من نسل "سيف ارعد من بنى سليمان بن داود عليهما السلام ملك سلاطين الحبشة وصاحب النواب بالمملكة النجاشية"

وبعد ذلك ذكر أسماء الممالك والسلاطين والنواب وقد بلغ عدد هؤلاء السلاطين ثلاثون سلطاناً ثم ذكر مدى سلطان وحدود بلاده فى الجهات الشرقية والغربية قريباها وبعيدها إلى بحر المحيط. وقال: "خلد الله ملكه وثبت قواعده دولته ونصر جيوشه وعساكرهم" ثم قال بعد ذلك:

"إلى الامام الشريف العالى الأوحى السلطانى الملك الظاهر جقمق سلطان المسلمين والاسلام بمصر والشام. سيد الاتام الخاص منهم والعام. أعز الله أنصاره. وأدام عزه واقتداره. وجعل العدل والفضل شعاره. ومحا بعدله وأحكامه أسباب الظلم وآثاره."

"أما بعد: نحمد الله سبحانه وتعالى مقلد أرض ملكه لمن يشاء من عباده وخالص العهد لاوليائه القائمين بأمره ومراده. نحمد الله على ما أولانا من جزيل نعمائه، ونشكره شكراً نستديم به من مزيد آلائه. ونسأله الاعانة على القيام بما يرضيه لما خولنا من الممالك الوسيعة والمنزلة العالية الرفيعة أنه على ما يشاء قدير. وبإجابته قدير. وهو حسبى ونعم الوكيل."

"سلام عليكم سلاما جزيلا وافرا على ما يليق بعظمة سلطانكم وعلى امراء دولتكم الاعزاء واهصانكم ومقدمى جيوشكم وعلى قضاة الشرع الشريف. واعزهم الله تعالى ورحمته وبركاته. تعليمكم جميعاً وبركات الاولياء الصالحين."

"ومما نُعلم به محكم الشريف انه قد اتصل الينا جميل أخباركم وانكم حفظكم الله تعالى أمرتم بإبطال المضالم من سائر العالم. وردعتم القوم الظالمين. ورفعتم أسباب المضرات من الرعايا بكل البلاد والاقاليم. وعفوتهم عن من له حرمه وابعدتم آثار المفسدين. ورحمتهم ذوى الفاقة من الفقراء والمساكين الذين بهم وجبت لكم دعوات صالحة شريفة. وبها فتح الله لكم الحصون المنيعة. وانقادت لطاعتكم الخلائق الغير المطيعة. زادكم الله من هذه الأوصاف المشكورة. ويزيدكم أيضاً من هذه الطرايق الممدوحة. والفضائل الجليلة المشروحة. التى بها صرتم ممن يُنظر اليه بعين الجلالة. ويُصغى إلى قوله ويُعد رأيه بالأخذ من سورته. ويرجع اليه فى الأمور العظام. كمن مضى من الملوك الابرار الاتقياء الاقوياء. مطبقى الأرض بالعدل وانصاف. اذ أنتم مثلهم ونظيرهم فى سيرتهم العادلة الفاضلة وكما أن أولئك وقع لهم الحمد والثناء وسناء الذكر بجميل فعالهم. كذلك وجب عليكم أيضاً أن تصيروا بهذه المنزلة الشريفة النفيسة المنيرة. والنعوت الزكية والاوصاف المرضية. ووجب لكم الثناء الشريف بذكركم. والمآح ليس فى مملكتكم فقط بل فى سائر الأرض باقيا. مادامت المياه تجرى. والرياح تسرى والسحب تمطر والأرض تثبت والشجر يثمر. والحيوان ينسل. وعلى الجملة مادام الكون باقيا. سبحان الله العظيم الاحسان الذى خصكم بهذه بأفضل زيادة. له الحمد بلا نهاية."

"ولما بلاغ الينا ما أنتم عليه من الخير استنشقتنا منه عرفاً طيباً يفوق كل طيب. وقصدنا تجديد ما سبق من العهود من الملوك المتقدمين من بلادنا وبلادكم. اتباعاً لآثارهم المشكورة. وقصدنا إعلامكم ذلك بشارة لكم ليكون ذلك العهد مستمراً بلا انحراف. والاتفاق بيننا وبينكم بلا خلاف. وآخر ذلك ما كان في أيام الشهيد الظاهر برقوق. ونجله الناصر سقى الله عهدهما صوب الرحمة. وأيام والدنا وجدنا من المحبة والاتفاق. على ما ظهر كل به الصحايف من أخبارهم الحميدة وسيرهم المرضية. وانهم كانوا قايمين بالعدل خصوصاً باخوتنا النصارى متوصين. ويرجعوا عنهم القوم الرائدین وهن كنائسهم. والقتل على من كان فيها من الاقسى والرهابين. وذلك بما يحققون من مناححتهم في خدمتهم. ومن كان منهم يموت يدفن من غير تعرض أحد. ومن كان لا وارث له وخلف شيئاً من الموجود يتولى أمره أبونا البطريك. ليستعين به على كلف الواردين والمنقطعين. وقد بلغنا الآن ان هذه القواعد قد تغيرت من قبل قوم كانوا عن طريق العدل حائدين. وفي طريق الظلم خائضين. والآن اذا مات أحد من اخوتنا النصارى لا يدفن إلا بعد مشقة كبيرة لأهله وأقاربه. ويؤخذ منهم ما لم تجر به عادة في أيام الملوك السالفين. والله تعالى لم يعذب أحد من خلقه بقطع الرزق. وإذا وجد منهم أحد على غير الطريق وهو يباشر شيئاً لا يليق به. يؤدب بمفرده ولا يشاركه غيره. لأن الله تعالى لا يطلب الولد عن أبيه ولا الوالد عن ولده. انما كل أحد بعمله."

"ثم بلغنا أيضاً ان ثم من يتعرض اليهم في كنائسهم في أوقات صلاتهم وفي أيام أعيادهم بقطع مصانعاتهم واخذ ما لا يستحقون أخذه. انهم في غاية الضيق في ذلك."

"وانتم حفظتم الله عارفون ما يلزم الراعى من النظر في حال رعيته. وان الله يطالبه بذلك وأبونا البطريك واخواتنا النصارى الذين هم الآن تحت عز سلطانكم ومملكتكم الشريفة نفر قليل جداً. ضعفاء الحال مساكين في كل الجهات. ولا يمكن أن يكونوا قدر قيراط من المسلمين القاطنين باقليم واحد من بلادنا. وانتم حفظكم الله. ليس يخفى عليكم ما في بلادنا الواسعة من المسلمين تحت حكمنا ونحن لهم ولملوكهم مالكون. ولم نزل نحسن اليهم في كل وقت وحين. ومن تقدم من آبائنا وأجدادنا لم يزلوا بهم مستوصين ولأنفسهم وأموالهم حافظين. سامعين لأولهم رادعين من يتعرض اليهم ونحن على ما كان عليه اباؤنا سالكون في طريقهم. غير



متعرضين لاقامة مساجدهم. ولا إلى أيام أعيادهم. وأيام مواسمهم. وملوكهم عندما بالتيجان الذهب راكبون الخيول المسومة. وعامتهم في أسبابهم آمنون مطمئنون على أنفسهم واولادهم وأموالهم. راكبون البغال في أحسن الحوال ولا نأخذ منهم جزية ولا شيئاً لا قليلاً ولا كثيراً. ولا تشوش عليهم أصلاً. ولو أخذنا منهم جزية وكان كل واحد يزن درهما لكان يجمع لنا من الأموال ما لا يحصى. وان كنتم في شكل من ذلك فاسألوا التجار المترددين إلى بلادنا يخبروكم بذلك بالحق والصدق. ومن نقل اليكم غير ذلك فهو من الكاذبين الذين يقصدون رمى الفتنة التي هي أشد من القتل عند العارفين."

"وليس يخفى عليكم ولا على سلطانكم ان بحر النيل ينجز اليكم من بلادنا. ولنا الاستطاعة على أن نمنع الزيادة التي تروى بها بلادكم عن المشى اليكم. يمنعنا من ذلك الا تقى الله تعالى. والمشقة على عباد الله".

"وقد عرضنا على مسامعكم ما ينبغى إعلامه فاعملوا أنتم بما يلقي الله في قلوبكم".

"ولم يبق لكم عذر تبدونه. وفي صدق مودتكم وفضلكم ما يغنى عن تكرار السؤال. وما قصدنا بهذا الا أن يكون بيننا وبينكم الصلح كما كان بين الملوك السالفين. وليكن حبل المودة ممتداً بغير إنصرام وستعلمون صحة كلامنا".

"واسألوا الجبريتية الذين هم يقيمون بالجامع الأزهر كم لهم سلطان من المسلمين" (إلى أن قال)

"وكان والدى داود أرسل رسلا إلى السلطان الملك الظاهر برقوق فقابلهم بالاكرام والاحترام. وودعهم سريعاً ليكونوا مستبشرين. وبسبب ذلك صار بينهم اثبات العهود والمودة إلى حين وفاتهم"

"ولما أراد الله تعالى جلوسنا على تخت والدنا أرسلنا رسولا إلى الملك الأشرف رحمه الله لنجدد العهد والمودة بيننا. فاکرم قصادنا وأحسن اليهم وقابلهم بما كنا أردنا منه."

"والآن فقد أرسلنا لعظمة سلطانكم رسلا والمسؤول بروز أمركم بقبول ما أرسلت من شئ يسير وعودهم سريعاً. ومهما فعلتم من الاحسان نحن فاعلون أضعاف ذلك وتصير المودة بيننا وبينكم كما كانت بين الملوك السالفة."

"وقد بلغنا ان عظمة سلطانكم رسم للافرنج بعمارة فى القدس الشريف من صدقاتكم الشريفة بروز أمركم للحبوش بعمارة قبر مريم عليها السلام. ان أحسنتم فما جزاء الاحسان الا الإحسان مثله واضعافه."

"وقد بلغنا ان دير الغطس هدم وهو من أيام الملوك السالفة ومن احسانكم بروز أمركم الشريف بعمارة ذلك. ونحن مقيمون على العهد القديم من أيام أجدادنا وابائنا فى اقامة جوامعكم ومساجدكم وادابهم. وأنتم أيضاً تامرون بالنداء: "ان لا يقول أحد للسفرانى ياكلب فان الله مقسم الاديان ويعاقب كل أحد على قدر ذنبه" أما نحن فنقول للشريف "ياشريف" وللقاضى "ياقاضى" وللشيخ "ياشيخ" فان لم تصدقوا فارسوا لنا إنساناً جيداً ديناً يرى ذلك ويسمع."

"وبلغنا أن الحبوش القاطنين بالقدس الشريف قصدوا عمارة بالأرض لميت مدفون فيه. منعهم نائب السلطان هناك. والقصد من عظمة سلطانكم بروز أمركم لنائب القدس ان يرسم للحبوش بعمارة ذلك. فنحن فى ساير ممالكننا نأمر باجهار النداء بعمارة الجوامع والمساجد."

"والقصد من عظمة سلطانكم ان تتوصوا غاية الوصية باخوتى النصارى. لتصير بينا المودة وتفرح فى أيام سلطنتكم الرعية بعد السلام الوافى التام على المجلس الشريف السلطانى. وعلى محبيه وعلى أمرائه وقضاة الشرع وعلى كل من حوت مملكته العالية"

"وهو حسبى وعليه توكلى والحمد لله رب العالمين" (السخاوى ص67 إلى 71).

(ب) نتائج البعثة الحبشية وأثرها فى مصر وأثيوبيا

وهذا الخطاب الشامل يبين بالتفصيل ما كانت عليه حالة القبط فى مصر فى ذلك العصر كما يوضح الاسلوب التى كانت سايرة عليه سياسة الدولة نحوهم وطرق معاملتهم الشاذة. ولما افترض هذا الأمر أمام السلطان وحاشيته تضجروا من الحقايق المؤلمة التى كاشفهم بها ملك ملوك الحبشة ونجاشيهم وتكدروا جداً من إذاعتها خارج البلاد المصرية.

(ج) بعثة مصرية لإثيوبيا وهدايا ملك مصر لملك الحبشة

فلما طرق ذلك مسامع السلطان تكدر من تثرب هذه الأخبار ولكنه سلك لمقصد الاعتدال وعدم الخطأ طريقه وسطى فجهّز شخصاً كان قديماً استادار الصحبة عنده وهو يحيى بن أحمد بن شاديك ومعه كما ذكر من الهدايا برسم كبير نصارى الحبشة

الملك ذرع يعقوب. سرجان من ذهب وشقق مذهبة أيضاً وديك مجوف من بلور مزمك بذهب، ومن الجوخ قطعتان خلاف عشر خلع بوجهين من الجوخ ومثلها من الصوف الملون ومائتي ثوب بطانة وزلعتين من الزيت الطيب وغير ذلك (السخاوى ص 71).

#### (د) كتاب سلطان مصر للنجاشي

وأرسل السلطان على يد مندوبه كتاباً إلى النجاشي يتضمن عدم الموافقة على جميع ما سأل فيه لقيام النصارى بتعدى الحدود في الديار المصرية واستطالتهن بالمبالغة في البناء ولاحداث الكنايس ونحو ذلك (السخاوى ص 71).

#### (هـ) وصول البعثة المصرية

وصلت البعثة المصرية إلى بلاد الحبشة وقابلت النجاشي. ولما اطلع على كتاب سلطان مصر رفضه واستشاط غضباً حتى عوق القاصد وتهدهد. ثم لم يلبث ان جرد بحضرته العلاء المسمى شهاب الدين بن سعد الدين ملك المسلمين من الحبشة وهم شردمة يسيرة ثالثة لكثرة مجموع نصارى الاحباش ووقع حرب بين الفريقين وآل الأمر إلى أن قتل ابن سعد الدين ولم يكتف النجاشي بصنيعه هذا بل ألزم قاصد السلطان بالركوب إلى المقتول لينظره في مكانه ليكون انكى للمسلمين فما استطاع مخالفته وسار إلى المكان المذكور الذي بقى فيه أياماً حتى رآه ثم رجع. وكان ذلك بترتيب التاجر عبد الرحمن المذكور أولاً لأنه كان يتظاهر بأنه مع المسلمين فما تيسر له اقناعهم. واستقر عوض شهاب الدين ولده محمد (السخاوى ص 71 و72).

#### (و) وصول أخبار البعثة المصرية إلى مصر واضطهاد النصارى بسببها

وجاءت الأخبار إلى السلطان بذلك فكرب لها وضافت عليه المسالك وبادر باحضار البطريك البابا يوانس وضربه ضرباً مبرحاً وتهدهد بل ووعده بقتل جميع من بمملكته من النصارى لكونهم كانوا السبب في ذلك كله. فروجع فيه برؤاً ساحة البطريك منه واقتضى الرأي أن يرسل كتاباً بخطه عن يد قاصد من طرفه يكون في حاشية قاصد من المسلمين يتضمن التعريف بما حل به من الذل والانتقام وما تهدد به هو وشعبه ويلزمهم بعودة القاصد مكرماً ومبجلاً من غير تشويش عليه ولا على

أحد من المسلمين. فلما وصل الكتاب مع الوفد إلى النجاشى ملك الحبشة أمر بإحضار القاصد وخلق عليه واستمر هكذا مع مقتله له واطهار ناموسه بحضرته إلى أن مل القاصد وواجهه بقوله: "ان كان القصد قتلى فيها أنا مستعد لذلك والا فاطلقنى" ثم فارقه. فارسل إليه شخصاً من امرائه يعلمه أن الملك قد من عليه وعفا عنه. فعند ذلك استعد للسفر وسار حينئذ ومعه قاصد من النصارى حتى وصل إلى الديار المصرية بعد مضى نحو أربع سنين (السخاوى ص 72).

(ز) عودة البعثة المصرية من الحبشة مع قاصد حبشى

ولما وصلت البعثة المصرية إلى مصر بعد غياب أربع سنين عوّق السلطان أيضاً قاصد النجاشى ثم اقتضى الرأى بإطلاقه. وجهز السلطان الامير متقال الحبشى لابن سعد الدين ملك المسلمين بالحبشة قائلاً: اننا نكرم من عندنا من النصارى رعاية لكم خوفا على مملكتكم لقلّة عدد المسلمين هناك وكثرة القائمين من النصارى أعدائكم" (السخاوى ص 7).

(ح) منع بطريرك الأقباط من الاتصال بالأحباش دون وساطة الدولة

وعقد السلطان مجلساً برئاسته فى يوم الاثنين 22 يوليو سنة 1448م الموافق 28 أبيب سنة 1164ش (20 جماد الأول سنة 852هـ) بحضور القضاة الأربعة وغيرهم ومنهم الشيخ بدر الدين العينى لمقاضاة البابا يوانس بطريرك النصارى اليعاقبة الذى غضب عليه السلطان وضربه وحبسه فى المقشرة وأخذ منه شيئاً كثيراً. فأمر المجلس بكتابة إشهاد على البطريرك يوانس بأن لا يكتب إلى ملك الحبشة بنفسه ولا بوكيله لا ظاهراً ولا باطناً ولا يولى أحداً فى بلاد الحبشة لا قسيساً ولا أعلى منه ولا دونه إلا بإذن من السلطان ووقوفه على كتابته وانه متى خالف ذلك انتقض عهده وضربت عنقه وحكم قاضى المالكية بذلك ونفذه بقية القضاة ثم قرئ الإستشهاد بين يدى السلطان والجماعة ورسم بكتابة خمسة نسخ منه ليكون عنده وعند كل من القضاة الأربعة نسخة وانفض المجلس على ذلك (السخاوى ص 210) وبذلك ختم موضوع العلاقة بين مصر والحبشة وبطريرك الاقباط.

5- واقعة بين المماليك والنصارى

وقد توجه فى يوم السبت 12 فبراير سنة 1446 الموافق 18 أمشير سنة 1161ش (15 ذى القعدة سنة 849هـ) جماعة من المماليك المفسدين يزيد عددهم على العشرين إلى بيوت النصارى لأخذ الخمر منها فكفهم الناس عن ذلك وأخذ

النصارى فى الدفاع عن بيوتهم حتى أدى الحال بهم إلى مقاتلة هؤلاء المماليك فانتصروا عليهم وقتلوا منهم ثلاثة ممالك (السخاوى ص123 و124).

6- حوادث خاصة بكنائس الطور فى سيناء

أقام السلطان فى أواخر ذى القعدة من سنة 849هـ (27 فبراير سنة 1446م الموافقة 3 برمهات سنة 1162ش) هيئة مكونة من القاضى شرف الدين القبانى الحنفى والخطيب شمس الدين بن أبى عمر الحنبلى وجماعة من الموقعين للتوجه مع الامير اينال الذى كان دوادار الناصرى محمد ابن السلطان إلى الطور فى سيناء لأنه بلغ لمسامع السلطان ان بها كنائس ملاصقة لجامعها تعلوا عليه فى العلو وان سقفها مطبقة بالرصاص الموازى لأكثر من الفى قنطار بلغت قيمته نحو عشرة آلاف دينار.

وعقد مجلساً لذلك بالقضاة الكبار فمن دونهم مرة بحضرته وأخرى بالصالحية وآل الأمر إلى ان إدعى القاضى برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة الحنفى عند قاضى الحنفية بطريق التوكيل عن السلطان على ثلاثة من رهبان النصارى الملكيين المقيمين بدير طور سيناء ومن بينهم اسقف الدير انه يوجد بالطور ست كنائس الأولى باسم موسى النبى والثانية باسم السيدة العذراء مريم والثالثة باسم القديس يوحنا والرابعة باسم القديس استفانوس والخامسة باسم الكرح؛ والسادسة باسم القديس باسيليوس وكلها مرتفعة البناء على الجامع القديم الداخلى فى سور الدير ارتفاعاً متفاوتاً وبسطح واحدة منها ناقوس يقابل منار الجامع على مسافة ثلاثين ذراعاً من بعضهما. ويجتمع النصارى للضرب به فى اليوم واللييلة ثلاث مرات. وبالآخرى قلالى عالية على بيت الخطابة والجامع أيضاً. سوى قلالى أيضاً بالدير معدة لسكنى الرهبان فيها تصاوير وتمائيل وانه بداخل الدير سبع كنائس بينها وبين الجامع نحو ثلاثين ذراعاً. وبجبل الطور تسع كنائس وبوادمى اللحاء والربوة ثلاث كنائس وبوادمى الفقيره كنيسة مما جميعه يحدث بدار الاسلام وانه بكل من الوادى والجبل أراضى مشغولة بالكروم والبساتين من سنين متقدمة وهى مستحقة لبيت المال وهم لا يقومون بخراجها. فاجابوا بصحة الدعوى غير انهم لا يعرفون الكنائس الست الاولى وانهم يقومون بخراج ما ينتفعون به من الاراضى مع زيادة عليه لحجاج المسلمين المنقطعين الذين يردون من البحر والبر. وكان سبق منهم قبل تاريخه السؤال فى أن يقرر عليهم فى اجرة الأراضى كل سنة خمسون ديناراً يؤدونها فى كل شهر بمقدار

أربعة دنانير وسدس دينار لجهة الجامع المذكور. ولما تم ما يقتضى الحكم سأل المدعى فيه فجيئذ استخار الله أمر الرهبان الثلاثة بهدم ما بالجبل من الكنائس والصوامع المستجدة وبهدم ما ارتفع من بناء الكنائس المجاورة للجامع على بنائه ويؤخذ منها أيضاً ذراع بحيث تكون منخفضة عن الجامع (السخاوى ص 124).

وينقض ما علم احداثه من الكنائس أمراً شرعياً بطريقة عالماً بالخلاف والزمهم بتسليم انقاض ذلك لمن يتولى قبض ما يكون لجهة بيت مال المسلمين ليجعله فيه حين يتبين له مستحق بالطريق الشرعى لكونهم أقروا انهم لا يعرفون لها مالكا ولا منشأً ولا مستحقاً ترد اليه. وكان ذلك كله فى سؤال من السنة وبعد ذلك طولبوا بخراج تلك الأرض فى مدة وضع أيديهم عليها وانتفاعهم بها فى الزرع والغرش وغير ذلك. وكتب عليهم أجابر مستقلة. ثم رسم السلطان لكل واحد من النواب الموقعين المعينين بهجن برسم الركوب وبعشرين ديناراً برسم النفقة.

ولما وصلوا إلى الطور كشفوا الكنائس المشار اليها فوجدوها كما شرحت هذا مع انهم سبق اعترافهم بذلك غير انه فعل قطعاً للحجج من كل وجه فكتبوا محضراً يتضمن شرح ذلك ثم صورت دعوى شرعية وحكم القاضى شرف الدين بن التبانى النائب الحنفى بعد استيفاء الشروط بحضرة جماعة من الرهبان والنصارى المقيمين هناك بهّد هذه الكنائس والقلالى وبأن انقاضها تكون لبيت المال وكان ذلك فى خامس عشر ذى الحجة (14 فبراير) وكفى الله المؤمنين القتال" (السخاوى ص 125).

وبعد دهر طويل استفتى الشيخ سراج الدين العبادى الشافعى عن هذا الحكم

فقال:

"قد وقفت على هذه الأحكام المسطرة والإلزامات المحررة فوجدتها آخذة بضبعى الكتاب والسنة من تعظيم الإسلام ومحلّه لانه يعلو والا يُعلى عليه. وقد تقررت المذاهب الشريفة التى استقر الحال على تقليد أئمتها والأخذ بقولهم والاقتصار فى جميع الاقطار على اجتهادهم على منع الكفار (هكذا) من إحداث البيع والكنائس فى دار الاسلام وعلى منعهم من اعلاء بنائهم على بناء المسلمين المجاور لهم بل ومن المساواة وهدم ما خالفوا فيه هذا الحكم كما وقع فى هذه الأحكام. ومن لم ينفذ لذلك فهو ناقد العهد لأن من شروط العهد أن ينفذوا لأحكام الاسلام وهذا منها. ومن خالف ذلك بعد صدور الحكم والعلم به انتقض عهده ولا سيما اذا انضم إلى ذلك

إظهار إستهزاء وعدم مبالاة بأحكام الشرعية المطهرة. ولا يقصر النقض على الفاعل بل من علم حاله منهم وأقر على فعله كان حكمه فى نقض العهد وصدور الحكم على من ذكر من النصارى المفوض اليهم أمر هذه الكنائس المذكورة كاف فى حق كل أهل ملتهم ولا يقتصر بالحكم عليهم لما فى ذلك من المشقة على من يريد إقامة الشريعة المطهرة. وكذلك الحكم الصادر بحمل الانقراض المذكورة مال ضايغ لا يعلم مالكة فيكون لبيت المال يصرفه الامام فيما رآه ويؤدى اليه إجتهاده على وجه المصلحة الشرعية. وموت النصارى المحكوم عليهم بالهدم قبل فعله لا يمنع من الهدم لانبرام الأمر بحكم الحاكم. وليس المراد بقول الحاكم ألزمت أو أمرت الا الحكم وكل هذا مبنى على اعتراف المدعى عليهم وهو كاف فى صلب الحكم الشرعى بما يقتضيه الحال من الهدم وغيره. وأغوثاه لدق الناقوس فى مقابله النداء للصلاة الشرعية. وان لم يكن فى أوقاتها فان فاعل ذلك انما يريد به المناظرة والمشابهة وربما يستدرجهم الشيطان إلى دعوى سبق هذه الصفة واستحقاقها طغيانا منهم وكفراً. ولا يخفى ما يترت على ذلك من المفاصد خصوصاً من عنده ضعف فى الاعتقاد وابتداء فى دخول الاسلام. ويجب على ولى الأمر أيدّ الله به الدين وقمع به أهل الشرك والملحدين القيام فى تقرير هذه الأحكام وإظهار ما تستحقه الشريعة المطهرة من الاعلاء والاعظام ومعاملة من خالف هذه الأحكام اليه بما يقتضيه اجتهاد أهل النقض والابرار والله أسأل أن يوقفنا لنصرة دينه ويؤيدنا بسنة رسوله وامينه والحال هذه والله أعلم" (السخاوى ص125 و126).

ومما تقدم بيانه يظهر جليا تحامل رجال القضاء تحاملا يتنافى مع سمو الاديان الالهية وروح الدين الاسلامى نفسه بل يتضح من ذلك بلا أدنى شك روح البغضاء المسيطرة على عقول رجال هذا العصر بدلا من روح التسامح التى تبشر بها الشريعة السمحاء.

#### 7- كنائس الملكية فى مصر

ولم يكتف على الاضطهاد الواقع على كنائس أديرة شبه جزيرة سيناء والطور بل ان الأمر تعداه إلى أديرة وكنائس الملكيين فى قصر الشمع. ففى صبحية أول جمادى اولى سنة 850هـ الموافقة 25 يولييه سنة 1446م (أول مسرى 1162ش) رفع العلاء بن اقبرس ناظر الاوقاف إلى السلطان ان جدار

كنيسة الملكيين بمصر فى قصر الشمع عال على مسجد بجوارها وانه يجب هدمه (السخاوى ص 145 و 272).

وكان السبب فى ذلك ان برددار العلاء تسلط على بطريك الملكيين المستقر فيها فى السنة الماضية بعد هلاك الذى كان فيها وطمع فيها لقرب عهده. فرفع البطريرك إلى السلطان قصة أعطائها لكاتب السر يشكو فيها البرددار المشار اليه وكثرة تسلطه عليه. فبادر العلاء حميه لبردداره وذكر ما تقدم. فحينئذ أمر السلطان نائب القاضى الشافعى أن يتوجه هو وكاتب السر إلى مصر للكشف على ذلك. فتوجهوا وقيل انهم رأوا الجدار الذى من جهة الجامع مائلا فحكم نائب الشافعى بهدمه خشية أن يسقط على المسجد وانفصل على ذلك. وكان السلطان ظن أنه يجب هدم الكنيسة أصلا وكان الحنفى المنفصل حاضراً فتغيب عليه لكونه قال "ما تهدم الا بشرط أن تكون حادثة. فان كان المسجد قديماً وجب هدم ما يعلو عليه" فقال له: "فلم لم تفعل هذا حين كنت حاكما بل كنت تفعل عكسه (السخاوى ص 145).

وفى يوم السبت 20 جمادى الآخر سنة 851هـ (2 سبتمبر سنة 1447م الموافق 4 توت سنة 1164ش) أمر السلطان بهدم كنيسة النصارى الملكيين التى بقصر الشمع وسبب ذلك ان السيد شهاب الدين أحمد النعمانى المصرى بلغه ان النصارى قد أعادوا بدل العمد الحجر المزالة منها فى سنة 846هـ كما تقدم عمداً من جبس وأجر باذن من بعض النواب الشافعية فيما بين هاتين المديتين.

فاجتمع السيد بالقاضى ولى الدين السفطى وكان ممن يعظم السيد ويجله وذكر ذلك له فوعده بايصال علمه إلى السلطان وأبطأ عليه برد الجواب. ولما كان صبحية يوم السبت المشار اليه حضر القاضى الشافعى ولى الدين السفطى وبقيّة القضاة الأربعة ومن شاء الله من الاعيان إلى الكنيسة المذكورة وكشف فوجدت العمد المشار اليها مبنية بالجبس والآجر فأدعى حينئذ على "أثناسيوس الرابع" بطريك النصارى الملكيين لكونه هو المعين من السلطان بسماع الدعوى بان الكنيسة الكائنة بمصر داخل درب يعرف بميكائيل عمداً مبنية بالطوب والجبس عدتها احد وعشرون عموداً وعتبة موسينى كلها محدثة لكونها كانت قبل تاريخه مبنية بالحجر النحيت وحكم بهدمها. ثم طلب المدعى ازالة ذلك لكونه حادثاً وقد عوهدوا على عدم الاحداث والترميم. فسأل القاضى المدعى عليه عن ذلك بعد مشاهدة البناء المستجد بالطوب



والجبس. فاجاب بانه لم يعمر شيئاً من ذلك وانه انما عمر فى زمن البطريك الذى كان قبله المسمى فيلوثاوس. فقبل للمدعى البيّنة فاحضر من شهد بان هذه العمدة والاكتاف كانت قبل تاريخه بالحجر الفص ثم هدمت بالشرع وقد اعيدت بعد ذلك بالطوب والجبس المشاهد وانه استفيض على السنة الثقاة وغيرهم ان هذه الكنيسة حرقت جميعها قبل تاريخه بمدة الأ بعض جدر ثم أعيد ذلك ولا يعلم من اعاده. وصدر ذلك بحضرة القاضى جلال الدين البكرى. فسئل هل صدر منه اذن فى البناء المحدث أو حكم. فاجاب بانه لم يتقدم له فى ذلك إذن ولا حكم لكونه معصية ولا يسواغ الاذن بهدم جميع هذه الكنيسة. حينئذ استوفى القاضى الشروط وحكم بهدمها على مقتضى مذهبه وكان حكمه هذا بحضرة السلطان وأركان الدولة بدهليز القاعة التى بداخل الدهيشة. وندب السلطان لهدمها وكيل بيت المال وناظر الأوقاف ومعلم المعلمين. وأمر ببيع انقاضها وان يعمر من ثمنها المسجد القديم الذى كان بجانبها الغربى المعروف بمسجد الطليحى لفههم بأجمعه وجعل كرسى البطريك الذى كان يجلس عليه يوم العيد منبراً بعدما اختصر منه بعضه لمزيد علوه وأخذ فى بنائه من أخشاب الكنيسة وعمدها الرخام وزجاجها ونحاسها وجعلت فى الجامع ولم يؤخذ من أرض الكنيسة فى الجامع شئ (السخاوى ص 181 و 182).

وهكذا كانت الأحكام التى تصدر باسم العدالة وهى بعيدة كل البعد عن روح الاسلام وأحكامه بل مبنية على حكم الاستبداد والتعصب الغادر.

#### 8- تصرفات الشيخ النعمانى القاضى الشافعى مع النصارى واليهود

يقول السخاوى فى كتابه ان السيد شهاب الدين أبو العباس القسطنطينى الأصل والمصرى المولد القاضى الشافعى الشهير بالعنانى كان نقمة على أهل الذمة فيما يجددونه فى كنائسهم. بل هو القايم فى هدم كنيسة النصارى الملكيين بقصر الشمع. وانه نكل بالنصارى حتى أسلم على يديه ثمانون. وانه لم يُبين فى قصر الشمع ولا فى دمونه ولا فى المدينة كنيس لليهود ولا كنيسة للنصارى الا وقد نالها من السيد إما هدم وإما بعض هدم وإما إزالة منبر أو إزالة حجاب وهى المقاصير التى تجعل على الهياكل. وقد أصابه الله بأمراض البواسير والفتق وغيرهما ومات فى 3 ذى الحجة سنة 853هـ (28 يناير سنة 1448م الموافقة 3أمشير سنة 1165ش) السخاوى ص 228) وقد نال من الله القصاص العادل على تعصبه الأعمى وتعديه على بيع الله ظلماً وغدراً.

## 9- ذكر بعض مشاهير الأقباط والنصارى

الذين تركوا النصرانية حباً فى الظهور

وقد نبغ الكثيرون من القبط والنصارى من املل الاخرى ولكنهم اعتنقوا الاسلام لا حباً فى الدين بل سعياً وراء الحصول على المراكز العالية. وأشهرهم ابن أبو غالب القبطى الذى كان من كتّاب الدولة فى ديوان الجيش الشامى ثم صار أحد موقعى الدست فى أيام البدرى بن فضل الله ورسم له فى أيام الناصرية فرج بركوب الخيل وكتب التوقيع أيضاً بباب الدادارية فى الخاص (السخاوى ص 153). وكذلك اشتهر منهم أبو غالب سعد الدين القبطى المعروف بابن عويد السراج كاتب الامير الدوادار الثانى دولات باى وصار من الرؤساء (السخاوى ص 208 و 408).

وكذلك أيضاً ابن كاتب المناخ وهو من نسل شمس الدين المصرى القبطى وقد ولى الوزارة مراراً الا انه صودر فى أمواله وضرب بالمقارع ومرض ومات (السخاوى ص 244).

هؤلاء كانوا من أقباط مصر الذين دفعهم حب الظهور والرئاسة الى اعتناق الاسلام لا حباً فى الدين بل حباً فى الدنيا.

ومن النصارى غير المصريين اشتهر يوسف جمال الدين بن الصفى الكركى القاهرى وقدم القاهرة فقيراً واعتنق الاسلام وتدرج فى الوظائف الهامة بالدولة واقتنى أموالاً كثيرة وكان من الملمين بأعمال المباشرين على طريقة الأقباط ومات كبير السن (السخاوى ص 422).

## 10- مشاهير رجال الكنيسة فى ذلك العصر

وقد اشتهر من كتاب الأقباط الأنبا قرياقوص اسقف البهنسا وهو من رجال الجيل الخامس عشر للميلاد وقام بوضع عدة ميامر متفرقة فى مديح العذراء وفى قيامة السيد المسيح وفى هرب العائلة المقدسة إلى مصر وفى مديح الشهيد بقطر (المخطوطات النصرانية ص 170).

## 11- مراسيم خاصة بمعاملة النصارى واليهود

وقد أصدرت الدولة عدة مراسيم لرعاياها النصارى واليهود بأحكام جائرة لا تتفق مع روح العدالة والمساواة فى الحقوق ولا تتفق مع الآداب الاسلامية وقواعد الدين ولا

مع الواجب الانساني فضلا عن عدم إتفاقها مع ما تقضى به حسن سياسة الدولة العامة مع رعاياها.

وتنحصر أخص هذه الاحكام فيما يأتى:

أولاً: فى يوم الجمعة 14 رجب سنة 852هجرية الموافق 13 سبتمبر سنة 1448م و16 توت سنة 1165 صدر الأمر بمنع اليهود والنصارى من طلب المسلمين وعلى الرغم من ذلك فقد امتنع المسلمون العاقلون من العمل به حيث يقول السخاوى فى تاريخه: "وليته هذا المنع دام فقد إئتمن الناس على أبدانهم وأموالهم واعدائهم ولا قوة إلا بالله" (السخاوى ص215).

ثانياً: فى يوم الثلاثاء 23 صفر سنة 854هـ الموافق 5 مايو سنة 1450م و12 برمودة سنة 1166 ش نودى بالقاهرة بأن لا يزيد كل من النصارى واليهود فى عمايمهم على سبعة أذرع لكونهم تعدوا فى ذلك وزادوا على الحد (السخاوى ص306).

ثالثاً: فى يوم الثلاثاء 20 ربيع الأول سنة 856هـ الموافق 10 أبريل سنة 1452م و15 برمودة سنة 1168ش طلب ناظر الجوالى وهو الشرقى الانصارى نصارى الديار المصرية من أجل ما بلغه عنهم من شراء الجوارى المسلمات والزمهم باحضار ما عندهم من الجوارى وضيّق عليهم بسببه حتى استنفذ منهم شيئاً كثيراً واستمر فى تتبعه والفحص عنه (السخاوى ص 385).

وهذا جزء من الكثير مما يدل على روح الاستبداد والتعصب الاعمى الذى يتبرأ منه الاسلام والمسلمون.

## 12- حوادث وأخبار مختلفة

حضر إلى القاهرة قاضى سواكن فى 17 ربيع الثانى سنة 852هـ الموافق 20يونيه سنة 1448م و26 بؤونه سنة 1164ش وأخبر السلطان ان نصارى الحبشة وكبيرهم قد عمروا نحواً من مايتى مركب لغزو المسلمين وأخذ سواحل البلاد الحجازية وانهم يقصدون أيضاً قطع بحر النيل وتعويقه حتى لا تصل مياهه للمسلمين. ثم تكرر المجئ بهذا الخبر بعد ذلك مرة بعد أخرى فى نفس هذه السنة (السخاوى ص 309).

ثم ابتدأ نهر النيل فى أواسط جمادى الأولى سنة 854هـ الموافق 26 يونيه سنة 1450م و2مسرى سنة 1166ش لا يفيض كعادته واستمر فى النقصان بدرجة

مخيفة إلى بحر شهر مسرى فارتج الناس وتزايد ارتفاع الاسعار لاسيما والنقص فى البحر مستمر فقلّ الخبز من الافران والاسواق وعز وجدانه إلا بمشقة زائدة وتعطلت معاش كثيرين بسبب تحصيله ولم يتمكن أحد من اظهاره ولا من اظهار الدقيق خوفاً من نهبه (السخاوى ص 310).

وأرسل السلطان للخليفة أمير المؤمنين للابتهاال والتضرع إلى العزة الالهية ليمن على الامة المصرية بفيض النيل ووزعت الحسنات وفعل سائر الناس كذلك فى أكثر الجوامع بحيث كان يوماً لم يعهد مثله ومع ذلك فلم يزد بل نقص أيضاً.

ثم نودى فى الناس بالخروج صياما للاستسقاء بالصحراء فبادر الخليفة والقضاة والعلماء والفضلاء والمشايخ والأمراء والاشراف والعوام وسائر الناس من الرجال والنساء والصغار والرقيق حتى أهل الذمة وصلوا جميعاً وابتهلوا لينزل الله الغيث عليهم وكثر الضجيج والبكاء والاستغاثة والتضرع وكان يوماً مشهوداً. ومع ذلك فلم يزد النيل بل نقص أيضاً وتزايد البلاء (السخاوى ص 311).

واستمر الناس فى المواظبة على الصلاة يومياً حتى أجاب الله سؤالهم فبتداً النيل فى الزيادة فى يوم الاحد 2 شهر توت سنة 1167ش الا انه لم يصل لحد الوفاء وكانت سنة غلاء وقحط وجوع فقى البلاد (السخاوى ص 312 و313).

#### 13- نياحة الأنبا يوانس الحادى عشر

قال السخاوى فى تاريخه: "توفى فرج اليعقوبى النصرانى بطريرك النصرارى فى ليلة الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة 856هـ (9 بشنس سنة 1168ش و 4 مايو سنة 1452م) ودفن من الغد (ص 409).

وجاء فى ذيل تاريخ أبو شاکر بن الراهب أن البابا يوانس البطريرك التاسع والثمانين تتيح فى تاسع بشنس سنة 1168ش فى حارة الروم ودفن بالخندق بعد أن أقام على الكرسي 24 سنة و 11 شهر و 23 يوماً وكان مقر كرسيه فى مدة رئاسته بكنيسة العذراء بحارة زويله وخلقى الكرسي بعده أربعة شهور وتسعة أسام (ص 243أ).

وجاء فى ذيل تاريخ البطاركة لأسقف فوه انه أقام على الكرسي 24 سنة و 11 شهر و 20 يوماً (ص 182أ).

وجاء فى ذيل تاريخ البطاركة لابن المقفع أنه أقام على الكرسى خمسة وعشرين سنة وتتيح فى 9 بشنس سنة 1168ش (كتاب 15 تاريخ بمكتبة الدار البطريركية ص 296"ا).

وجاء فى ذيل جدول البطاركة الوارد فى كتاب مصباح الظلمة لابن كبر أنه تولى على الكرسى مدة 24 سنة و 11 شهر و 17 يوما وتتيح فى 9 بشنس سنة 1168ش (ص266).

وجاء فى ذيل جدول الاسعد بن العسال فى كتاب الابقطى ما يؤيد رواية مصباح الظلمة (ص62"أ).

وحقيقة مدة اقامة هذا البابا على الكرسى المرقسى الاسكندرى هى 24 سنة و 11 شهر و 23يوما. لأن جميع المؤرخين القبط المتقدم ذكرهم اجمعوا على أنه تولى الكرسى فى 16 بشنس سنة 1143ش الموافق 11 مايو سنة 1427م وتتيح فى 9 بشنس سنة 1168ش 4 مايو سنة 1452م فى سلطنة فخر الدين عثمان بن القايم بأمر الله الملقب المنصور وقد خلى الكرسى بعده أربعة أشهر وستة أيام.

وقد ذكر جميعهم أن خليفته البابا متاؤس الثانى الشهير بالصعيدى تولى الكرسى بعده فى 13 توت سنة 1169ش الموافق 10 سبتمبر سنة 1452م وقد قال السخاوى عن هذا الأخير فى كتاب تاريخه ما يأتى:"وفى يوم الأربعاء ثانى عشرين شهر رجب سنة 856هـ (22 مسرى سنة 1168ش الموافق 15 أغسطس سنة 1452م) استقر سليمان النصرانى اليعقوبى بطريرك النصارى بعد موت البطريرك وشفورها اشهرا حتى احضر هذا من بلاد الصعيد (ص389).

ويظهر من خبر السخاوى ان المنتخب للبطريركية أحضر للرسم فى التاريخ المذكور وهذا الخبر يؤيد انه حصل خلو بين السلف والخلف مدة أشهر أما الرسم لفقد تمت فى 13 توت سنة 1169ش كما تقدم ذكره وذلك فى أيام السلطان اينال أبو نصر الأشرف.

#### 14- حضور بعثة حبشية بعد وفاة البطريرك

وبعد نياحة البابا يوانس وتولىه خلفه حضرت إلى مصر فى يوم السبت 21 محرم سنة 857هـ الموافق أول فبراير سنة 1453 و 7أمشير سنة 1169ش بعثة حبشية استقبلها السلطان بالحوش السلطانى (السخاوى ص428) ويظهر أنه السلطان المنصور فخر الدين عثمان بن القايم بأمر الله.

## البابا متاوس الثانى

### البطريك (90)

#### 1- موطنه الأصى ورهنته

كان اسم هذا البابا قبل إندماجه فى سلك الرهنة سليمان الصعيدى وكان من أهالى صعيد مصر وترهب فى دير السيدة العذراء الشهير بالمحرق وكان اسمه بعد الرهنة متى الصعيدى نسبة لمسقط رأسه (السخاوى ص 389).

#### 2- اختياره للبطريكية

لما تتيح البابا يوانس الحادى عشر البطريك (89) فى 9 بشنس سنة 1168ش الموافق 4 مايو سنة 1452م اجتمع مجمع الاساقفة المقدس مع أراخنة الشعب لإختيار خليفته فاجمعوا الرأى على انتخاب الراهب متى الصعيدى لكرسى البطريكية فحضر من ديريه ووصل إلى مصر فى يوم الأربعاء 22 مسرى سنة 1168ش الموافق 15 أغسطس سنة 1452م (السخاوى ص 389).

#### 3- رسامته بطريكا

ورسم هذا الراهب بطريكا فى يوم الاحد 13 توت سنة 1169ش الموافق 10 سبتمبر سنة 1452م بعد أن ظل الكرسى البطريكى خاليا مدة أربعة أشهر وستة أيام ودعى باسم البابا متاوس الثانى البطريك (90) فى أيام السلطان فخر الدين عثمان (كتاب التواريخ لابن الراهب ص 242).

#### 4- حضور بعثة حبشية إلى مصر

وفى 7 أمشير سنة 1169 ش الموافق أول فبراير سنة 1453م حضرت إلى مصر بعثة حبشية لزيارة البابا يوانس المتنيح فوجدته انتقل من هذا العالم واعتلى الكرسى بعده البابا متاوس الثانى. وقد استقبل السلطان المنصور فخر الدين عثمان بن القايم بأمر الله هذه البعثة الحبشية أحسن استقبال (السخاوى ص 428).

وكان غرض هذه البعثة الحبشية اختيار مطران لها وذلك فى أيام ملك الحبشة ذرع يعقوب الملقب باسم الملك قسطنطين الأول. وقد تم رسامة المطران المطلوب واسمه المطران غبريال (شين ص 266 . 268).

#### 5- اقامته فى كنيسة العذراء بحارة زويله

وأقام البابا متاوس الثانى كأسلافه البطارقة فى كنيسة العذراء الأثرية بحارة زويله وظل بها مدة رئاسته على الكرسي البابوى.

#### 6- وفاة السلطان فخر الدين عثمان

وفى يوم 29 صفر سنة 857 هـ الموافق برمهات سنة 1169ش ومارس سنة 1453م توفى السلطان فخر الدين عثمان بن القايم بأمر الله وبويع مكانه مملوك اسمه أبو النصر إينال ولقبوه الملك الأشرف (التوفيقات الإلهامية ص429) وتولى بعده أحمد بن إينال المؤيد وبعده خشقادم سيف الدين الظاهر.

#### 7- عمل الميرون المقدس

وقام البابا متاوس الثانى بعمل الميرون المقدس وتقديسه فى سنة 1174 للشهداء الموافق سنة 1458 ميلادية فى بيعة السيدة العذراء الطاهرة القديسة مريم والدة الإله بحارة الروم وقد كان المهتم بهذا العمل المقدس والمجتهد فيه صاحب الذكر الدايم المولى الأجل الارخن الرئيس المحب للمسيح الارشيدياقن الكرم الشيخ ولى الدولة ميخائيل المهتم بالبيعة المذكورة والناظر على الشعب الارثوذكسى والبيع المقدسة باورشليم والمباشر للذخيرة السلطانية وقد اشترك مع الولى الشيخ ولى الدولة فى هذا العمل الطاهر الولد المبارك الشماس المكرم برسوم بن الاشقر الارشى دياقون والولد المبارك الشماس المرمك الشمس أبو المنصور ابن الأب القس التاجر المعروف بالمصرى.

وقد اشترك مع قداسة البابا متاوس الثانى فى هذا العمل المقدس الاساقفة الذين حضروا من الكراسى البحرية والقبليّة وهم:

- (1) الانبا ايساك مقدم الأساقفة وأسقف كرسى منية القديس أبى فيس وطحا المدينة.
- (2) الانبا يوانس أسقف أسيوط ومنفلوط وابو تيج وابن الاب الاسقف خرستونولو.
- (3) الانبا ميخائيل أسقف كرسى القوصية.

- 4) أنبا ايساك اسقف كرسى صندفا والمحلة.  
5) أنبا يوانس أسقف كرسى الفيوم.  
6) الانبا ميخائيل اسقف كرسى قسقام.  
(كتاب طبخ الميرون رقم 101 طقس ص 13 "أ" و 30 "أ" ورقم 102 ص 30  
"أ" ورقم 103 ص 31"أ" و 286 ص 117) بمكتبة الدار البطريركية بالقاهرة.  
8- نياحة الأنبا متاوس الثانى

وفى اليوم الثالث عشر من شهر توت سنة 1182ش الموافق 10 سبتمبر سنة 1465م تتيح البابا متاوس الثانى بعد أن جلس على الكرسى البطريركى مدة ثلاث عشر سنة ودفن فى دير الخندق المعروف الآن بدير أنبا رويس وذلك فى أيام السلطان الظاهر خوش قدم.  
وقد خلا الكرسى بعده مدة أربعة أشهر وتسعة وعشرين يوماً.

## البابا غبريال السادس

البطريرك (91)

1- موطنه ورهبنته

كان هذا البابا من العراية المدفونة وترهب فى دير القديس أنطونيوس وترقى فى الدير حتى أصبح رئيساً عليه وكان اسمه غبريال العراوى نسبة لمسقط رأسه ويلقب بابن قطاع العصفور.

ولما تتيح البابا متاوس الثانى ظل الكرسى خاليا نحو الخمسة أشهر.

2- اختياره للبطريركية

ولما طال خلول الكرسى اجتمع الاساقفة والأراخنة وبحثوا عمن يليق للبطريركية فوقع الاختيار على الأب غبريال العراوى فكرسوه بطريركا فى يوم الأحد الموافق 15 أمشير سنة 1182ش (9فبراير سنة 1466م) باسم البابا غبريال السادس البطريرك (91) (كتاب تاريخ وجداول البطاركة ص92) فى عهد الملك الظاهر سيف الدين خشقادم.

وقد كان يقيم بالقلاية البطريركية بكنيسة العذراء الأثرية بحارة زويله طول مدة رئاسته.

3- مدة اقامته على الكرسى



وظل البابا غبريال السادس بطريركا مدة ثمانية سنوات وعشرة أشهر وستة أيام.

4- تاريخ نياحته ومحل دفنه

وفى يوم 19 كيهك سنة 1191ش الموافق 15 ديسمبر سنة 1474م تنيح البابا غبريال بسلام واحتفل بجنازته إحتفالا شعبياً من حارة زويله إلى دير الخندق ودفن فى مقبرة البطاركة بكنيسة القديس فريج الشهير بأنيا رويس فى أيام السلطان أبو النصر الأشرف (كتاب تاريخ وجداول البطاركة ص93).

5- مدة خلو الكرسي بعده

وبعد نياحته ظل الكرسي خاليا مدة طويلة بلغت سنتين وشهراً واحداً واثنين وعشرين يوماً.

6- مشاهير الرجال فى هذا العصر

وكان فى هذا العصر رجلا من رجال الكنيسة اشتهر فى وضع وتأليف الميامر وهو الانبا قرياقوص أسقف البهنسا الذى عاش فى القرن الخامس عشر. أما الميامر التى اشتهر هذا الاب فى وضعها فهى خاصة بمديح العذراء وقيامه السيد المسيح. وهرب العائلة المقدسة إلى مصر. ومديح القديس بقطر الشهيد (المخطوطات العربية ص170).

## البابا ميخائيل الرابع

البطريك (92)

موطنه وعائلته ودير رهبنته

هو ابن القس يوحنا ويعرف بابن سميعه وموطنه الأصلى مدينة سمالوط ولم يذكر مؤرخى سير البطاركة اسم الدير الذى ترهب فى فيه واختير منه للبطريركية (ذيل فوه ص 184).

اختياره للبطريركية

وبعد نياحة البابا غبريال السادس البطريك (91) فى 19 كيهك سنة 1191ش (15 ديسمبر سنة 1474م) ظل الكرسي خاليا مدة طويلة وهى سنتان وشهر واحد واثنان وعشرون يوماً فاجتمع الآباء الأساقفة والاراخنة لإختيار خليفته فبعد البحث وقع الاختيار على الراهب ميخائيل السمالوطى فاقاموه بطريركا فى 13 أمشير سنة

1193ش الموافق 7 فبراير سنة 1477م فى عهد الملك قايتباى الأشرف أبى النصر الظاهر المحمودى (ابن الراهب ص 243 وذيل فوه ص 184 وابن كبر ص 266).  
مدة توليه الكرسى البطريركى  
وقد أقام البابا ميخائيل على الكرسى البطريركى مدة سنة واحدة وثلاثة أيام وتنيح فى 16 أمشير سنة 1194ش الموافق 10 فبراير سنة 1478م واحتفل بجنائزته ودفن فى بابليون الدرج فى أيام السلطان قيتباى.

### البابا يوحنا الثانى عشر

البطريرك (93)

1- اختياره للبطريركية

بعد نياحة البابا ميخائيل الرابع خلا الكرسى البطريركى مدة سنتين وشهرين وثمانية أيام واجتمع الاساقفة بعد هذه المدة الطويلة مع أراخنة الشعب للإهتمام باختيار بطريرك لرئاسة الكرسى الاسكندرى وطال البحث فى ذلك إلى أن أهدى المجمع إلى اختيار الراهب حنا المحرقاوى الذى من نقادة وأقاموه بطريركا باسم يوحنا الثانى عشر فى 23 برمودة سنة 1196ش الموافق 18 أبريل سنة 1480م فى عهد الملك الأشرف قايتباى أبو النصر (كتاب تاريخ وجداول البطاركة ص 94. وكتاب 15 تاريخ ص 297 وذيل فوه ص 184) ويلاحظ أن سنته المتقدمة وردت خطأ فى الكتابين الأخيرين فقالت انها سنة 1195ش وحقيقتها سنة 1196 حسب ما ذكره ابن كبر فى جدولته ص 266 وابن الراهب ص 243.  
2- مدة رئاسته

وقد أقام البابا يوحنا الثانى عشر على الكرسى البطريركى مدة ثلاث سنوات وأربعة أشهر وتسعة عشر يوما وعاصر السلطان قايتباى أبو النصر الأشرف.

3- نياحة البابا يوحنا الثانى عشر

وفى يوم 7 توت سنة 1200 ش الموافق 5 سبتمبر سنة 1483م انتقل من هذا العالم الفانى البابا يوحنا الثانى عشر واحتفلت الامة بجنائزته ودفن فى بابليون الدرج وظل الكرسى بعده خالياً مدة خمسة أشهر وخمسة أيام.

## البابا يوانس الثالث عشر

البطريك (94)

### 1- اختياره للبطريركية

وبعد نياحة البابا يوانس الثانى عشر ببضعة أشهر اجتمع المجمع المقدس لإنتخاب خليفة له فقرر رأى المجمع وأراخنة الشعب على اختيار الراهب يوحنا بن المصرى لرسامته بطريركا على الكرسي الاسكندرى وهو من بلدة صدفا بمديرية أسيوط ولم يذكر المؤرخون اسم الدير الذى ترهب فيه.

### 2- رسامة الراهب يوحنا بن المصرى بطريركا

وفى يوم الاحد الموافق 15 أمشير سنة 1200ش الموافق 10 فبراير سنة 1484م تمت رسامة الراهب يوحنا بن المصرى بطريركا باسم البابا يوانس الثالث عشر فى أيام الملك قايتباى أبو النصر الاشرف (تاريخ وجداول بطاركة الكرسي الاسكندرى ص 94).

### 3- علمه واحساناته

وكان هذا البابا رجلا فاضلا وعالماً كبيراً وكان محسناً باراً وكانت صدقاته حتى على اليهود وكان لا يمسك على دنيا بل كان كلما يأتيه يجعله تحت فروة كانت له إلى أن يصرفه فى الصدقات. ولهذا البابا مؤلفات كبيرة فى الدين (ابن الراهب ص243).

### 4 - العلاقات مع الحبشة فى عهده

وكانت العلاقات بين الحبشة ومصر فى ذلك الحين مقطوعة بسبب تتابع إغارات ملوك مصر على بلاد الحبش وكان ملك الحبشة وقتئذ يدعى داود الثانى الذى تولى الملك من سنة 1508م إلى ديسمبر سنة 1540م. فسعى هذا الملك فى عقد محالفة مع البرتغاليين الذين كانوا على مقربة من بلاده سعياً فى الاستيلاء على الهند. فاجابوا طلبه ودخل كثير منهم بلاده وتوطنوا فيها مدة الزمن.

وفيما هم هناك لما رأوا ان المواصلات والعلايق بين الحبش وأقباط مصر معطلة كما تقدم القول وانهم باقون بدون رئيس دينى طلبوا إلى الملك أن يلجأ إلى بابا روميه كى يرسل له مطرانا من عنده. فوقع اختياره على رجل برتغالى يسمى يواز بارمودز كان طبيباً فى الجيش فعينه مطرانا على الحبش وسماه بطريرك

الاسكندرية أيضاً. فعَدَّ القبط والروم هذا تعدياً من البابا وانكروا عليه الحق في ذلك واوبا معرفة الشخص الذى عينه بأى الصفتين.

ويلاحظ من تصرفات بابا روميه فى أمر تعيين هذا المطران البرتغالى بطريكاً على الاسكندرية ما يثبت كذب ما يدعيه مؤرخو الكاثوليك من ان الكنيسة القبطية كانت قد خضعت لسلطة البابا اذ لو كان ما يعدونه صحيحاً فما كان هناك موجب لتسمية بطريك لها غير بطريكها القبطى أو انه كان يجب عن البابا عزله قبل تعيين غيره وإذ لم يكن هناك داع لذلك فما سبب تسمية الرجل الذى عينه مطراناً على الحبش بطريك الاسكندرية أيضاً (تاريخ الامة القبطية ليعقوب بك نخله ص245 و246).

5 - احضار جسد القديس مرقوريوس ابى سيفين إلى بيعته بمصر

وفى عهد البابا يوانس الثالث عشر أحضر جسد القديس العظيم مرقوريوس أبى سيفين إلى البيعة المكرسة باسمه فى مصر بدرب البحر فى سنة 1204ش الموافقة 1488م (كتاب 48 تاريخ بالدار البطيركية).

6 - أسقفية جزيرة قبرص القبطية

وكان للكنيسة القبطية الارثوذكسية أسقفية فى جزيرة قبرص ويقوم البابا القبطى الاسكندرى بسيامتهم. ومما يذكر للبابا يوانس الثالث عشر أنه فى العشر الأول من توت سنة 1230ش الموافق 7 سبتمبر سنة 1513م قام باهداء كتاب الطب الروحانى إلى الأنبا ابرام اسقف جزيرة قبرص التى كانت لم تنزل أسقفية قبطية منذ العهد القديم (مكتبة دير أبى يحنس).

7 - ورود بعثة حبشية لزيارة بيت المقدس

وفى أيام البابا يوانس الثالث عشر وسلطنة قانصوة الغورى قدم إلى مصر فى سنة 1231ش (1515م) من قِبل ملك الحبشة داود الثانى اميران ومعهما هدايا ثمينة. فاحسن السلطان مقابلتهما وأكرم وفادتهما. وكان قدومهما فى أول برمهاة أى فى منتصف الصوم الكبير حول يوم 25 فبراير سنة 1515.

ثم بعد ذلك توجه الاميران إلى القدس الشريف لزيارة الأماكن المقدسة والتبرك منها وعادا من هناك وهم فى أحسن حال (كتاب الرسائل والكاثوليكون والابركسيس رقم 22 مسلسل و 161 مقدسة بالدار البطيركية).

## 8 - استيلاء الدولة العثمانية على الديار المصرية

وفى أيام هذا البابا حدثت تقلبات كثيرة فى البلاد وتناول الحكم عدة سلاطين وكانت حالة الديار المصرية فى عهدهم مزعزعة الأركان إلى أن قام السلطان سليم العثمانى بمحاربة السلطان قنسوا الغورى سلطان مصر فلم يقو الغورى على وقف زحف الجيش العثمانى فاضطر إلى الفرار وسقط من على جواده لشدة الازدحام وذهب قتيلا تحت أرجل الخيل فى 25 رجب سنة 922هـ (أول النسيء سنة 1332ش الموافق 24 أغسطس سنة 1516م) وكان السلطان قنسوا الغورى قبل مبارحته القاهرة استخلف عليها ابن أخيه طومان باى الذى بايعوه بعد تلك الموقعة ولقبوه بالملك الأشرف طومان باى الثانى ولكن هذا السلطان لم يتمكن من إيقاف تيار الجيش العثمانى الذى تمكن من فتح البلاد رغم ما أظهره طومان باى من البسالة والإقدام ووقعت حصون القلعة فى أيديهم وفر طومان باى إلى الاسكندرية فاستحضره السلطان سليم مغلولاً وبعد عشرة أيام من وصوله أمر بشنقه وذلك فى ربيع أول سنة 933هـ (16 برمودة سنة 1233ش الموافق 11 مايو سنة 1517م) فعلقوه تحت رواق باب زويله ثم دفنوه.

ويقتل طومان باى انتهت دولة المماليك الشراكسة بعد أن تسلطوا عليها نحو 139 سنة وأصبحت من ذلك الحين إحدى أليالات العثمانية الكبيرة (تاريخ مصر الحديث جزء "2" ص 63 و64).

## 9 - أحر أيام البابا يوانس

أما البابا يوانس فقد استمر على الكرسي البطريركى مجاهداً فى سبيل إعلاء قدر كنيسته مدة أربعين سنة إلا أربعة أيام أتم فيها الكثير من الإصلاح والتجديد والعديد من المؤلفات الدينية. ثم انتقل بسلام من هذا العالم الفانى فى 11 أمشير سنة 1240ش الموافق 5 فبراير سنة 1524م وقد احتلفت الكنيسة بجنازته فى كنيسة السيدة العذراء بحارة زويله وكان المقدم فى التجنيز الأنبا غبريال اسقف منفلوط. وبعد الصلاة دفن فى نفس الكنيسة تحت جسد الشهيد صليب (فوه ص 184"أ") واستمر كرسى الرئاسة بعده خاليا مدة سنة وسبعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً.

## 10 - القديس صليب الشهيد

فى عهد البابا يوانس الثالث عشر

ولد هذا الشهيد فى بلدة هور مركز ملوى بمديرية أسيوط وكان والده من الصناع الماهرين وله منزلة بين أهل بلده وقد أدبه بآداب البيعة المقدسة كما علمه صناعته ليعاونه فى عمله. ولما اشتد عود هذا القديس فكر والداه فى اختيار زوجة له من أقاربه. وزوجاه رغم ارادته. فلم يعرف القديس إمرأته وظلا بتولين تحرسهما العناية الإلهية من كل رجس وعيب (كتاب ميامر شهر كيهك ص 7 "أ" و8).

وعقب زواج صليب هجر منزل والديه وصار يسبح فى الجبال والبرارى ويزور الأديرة والبيع ويسمع الكلام الإلهى ويعزى نفسه الطاهرة بعشرة القديسين والنسك المتعبدين. ولما عثر عليه أهله قيّده بالحديد حتى لا يفارقهم. ولكنهم رأوا أن هذه القيود قد انحلت من قدميه وانفتحت أقفالها من نفسها بقوة السيد المسيح الحالة فيه لانه ترك كل شئ فى العالم وتبع سيده كقول الكتاب: "من أراد أن يتبعنى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى".

وكان صليب يواصل ليله ونهاره بالصلوات وكانت أمنيته الوحيدة التوسل لوالدة الإله القديسة مريم أن تعينه على نيل إكليل الشهادة على اسم ابنها الحبيب. فظهرت له العذراء الطاهرة فى حلم وافهمته أن طلبته قد اجبيت وسينال أمنيته وسيكون الملاك الطاهر ميخائيل فى حراسته. فتقوى صليب بالروح القدس. وكان لا ينفك شاهداً لاسم المسيح الصالح معلناً إيمانه الوطيد بألوهيته وملكوته. فاستهدف لغضب وحقد جماعة من غير المؤمنين فقبضوا عليه وقدموه لمتولى الحكم فى بلاد الصعيد لمحاكمته.

فانتهر القديس هذه الفرصة الثمينة واعترف جهراً بإيمانه وتعبده للرب يسوع المسيح. فانهالت عليه الشتائم والاهانات واللطمات فتحملها هذا الشجاع بكل صبر واحتمال منتظر الجزاء السمائى (ص8 و9).

وبعد اعترافه قيده القوم بقيود حديد ثم رجموه فلم يصبه شر لأن ملاك الرب كان يحرسه كوعد القديسة مريم. ثم أودعه الحاكم فى السجن وكان كلما وضع السجن القيد فى رجليه كان يجده حراً طليقاً.

وكان صليب يصرف ليله فى الصلاة. فتوافيه السيدة العذراء فى الرؤيا فى جلال من الضوء الفائق ضوء الشمس بهاء وتعزية قائلة: "اصبر يا صليب فإنك ستنال

إكليل الشهادة باسم الحبيب يسوع المسيح له المجد. وسيحطك الملاك ميخائيل برعايته إلى أن تكمل جهادك". فلما شاع هذا الحادث بين سكان السجن قر رأيهم أن يهربوا به من السجن فلم يوافقهم القديس على ذلك.

وبعد أيام أرسله قاضى الجهة إلى مصر مقيداً بالأغلال الحديدية مغفوراً بقوة من الشرط. فلما ركب السفينة قابلته أمه وأخوته بالبكاء عندما رأيته مقيداً كالأشرار والقتلة. ولما وقفن على تصميمه على اتمام شهادته ودعوه بقولهم: "تقربك السلام يولدنا الحبيب فاذكرنا عند المسيح هنا. الرب يكون معك ومعونة والدته القديسة مريم تشملك إلى أن تكمل سعيك وجهادك الحسن". ورجعن وهن يندبن على فراق ولدهن صليب.

كانت الرحلة النهرية شاقة صرفها القديس فى التسبيح والتقديس. وكانت السيدة العذراء تشرق عليه ليلا بنورها البهى وتعزيه كما كان رئيس الملائكة الطاهر ميخائيل يحافظ عليه ويلزمه فى غربته (9).

ولما وصلت السفينة إلى مصر أصاب صليب الكثير من العذابات التى لا توصف. وأخذة القائد إلى جماعة من المسيحيين المؤمنين وطلب منهم اجرة سفره لان القديس لم يكن معه شئ من مال هذا العالم الزائل. فدفعوا له ما طلب بعدما علموا قضيته وطلبوا من القديس أن يتناول خبزاً عندهم قلبى دعوتهم ونال من عطفهم ورعايتهم ما عراه كثيرا فى شدته الأمر الذى جعله يخاطبهم بقوله: "لقد تعبت معى وتكلفتكم الكثير من أجلى فالرب يسوع المسيح يجازيكم بخيرات ملكوته الابدية ولا يعوزكم شيئاً من خيرات الدنيا الفانية". (11).

ثم توجه صليب بصحبة القائد إلى أهله بمصر حيث كان تتقيم شقيقته وكانت سيدة مؤمنة. فلما رأته وعلمت بقضيته وعزمه على نيل إكليل الشهادة على اسم السيد المسيح أخذت تبكى وتتوسل إليه أن يعدل عن عزمه ليخلص من القيود والعقاب. فودعها وداعاً صامتاً. وقاده حارسه إلى الحاكم الذى فحص قضيته وأخذ يسأله عما جاء فيها من الاعتراف الجرى بإيمانه وعقيدته. فامتأ صليب قوة من الروح القدس واعترف الاعتراف الحسن بكل جسارة بأنه ليس إله فى السماء وعلى الأرض إلا يسوع المسيح فلما سمع الحاكم منه ذلك قرر إرساله إلى الملك وفى الصباح الباكر مثل الشهيد بين يدى الملك الأرف فانصوه الغورى ممثلاً بالشجاعة والقوة. ولم يخش رهبة مجلس الحكم حيث العساكر والجيوش وأرباب الدولة والولاة

كما أنه لم يتأثر من هيبة الملك. ولم يهرب قلبه من العذاب الذى توعد به. ثم خاطبه الملك قائلاً: "أيها النصرانى اسمع ما يقوله عنك هؤلاء. اصغ لنصيحتى واترك دين آبائك وأنا أسامحك". فاجاب القديس قائلاً: "إن الذى يقولونه هو اعترافى. فإنى أقر علانية بأننى نصرانى مؤمن بدين المسيح". فأرسله الملك إلى القضاة ليسمعوا كلامه ويحكموا عليه. وعرضت قضيته أمامهم. ولما سمعوا شهادة الشهود وسمعوا منه اعترافه الصريح حكموا عليه بالاعدام واشهاره فى أرض مصر وشوارعها مكبلاً بالحديد (13 و14).

فاحضر الأمير الذى كلف بتنفيذ الحكم جملاً وأمر أن يضعوا عليه القديس مصلوباً على صليب خشبى. وأخذوا يطوفون به فى المدينة وينادون أمامه بجريمته. وكان صليب يقابل كل ذلك بصبر عجيب متهللاً لما ناله من العذاب على اسم ربنا يسوع المسيح. وكان وجهه مضيئاً لامتلأته من نعمة الله ومعونته. وما شمله به سيده المسيح من النعمة التى خولته تحقيق أمنيته وهى استشهادته على اسمه القدوس (ص14).

ولما وصلوا إلى ساحة تنفيذ الحكم كان السياف واقفاً فى انتظاره يحمل سيفاً مسلولاً والجموع محتشدة لرؤيته وقت قطع رأسه. ولكن القديس لم يتأثر من هذا المنظر المرعب كما لم يخش الموت وروعته. فسأله القاضى عما إذا كان يود الرجوع عن رأيه لينال العفو وإطلاق صراحه فأجابه بأنه عاش نصرانياً ويموت نصرانياً ولن يترك ربه ومخلصه يسوع المسيح. فأمر القاضى بقطع رأسه فضرب السياف عنقه بحد السياف فى الساعة السادسة من يوم الاثنين المبارك الثالث من شهر كيهك سنة 1229ش (ص15) ونال إكليل الشهادة.

وكان استشهادته فى يوم عيد تذكور دخول سيدتنا العذراء إلى الهيكل وكان ضرب عنقه أمام المدرسة النجمية الصالحية التى بناها الملك الصالح نجم الدين بخت بين القصرين بجوار منية الصالح بالجمالية بالقاهرة المعزية (كتاب الميرون رقم 106 طقس بمكتبة الدار البطريركية).



إن الخمس المدن الغربية كانت من أهم المراكز المسيحية التابعة للكرسى الاسكندرى وكانت أبرشياتها عامرة تشغلها الاساقفة حتى قبيل الفتح العثمانى للديار المصرية.

وكان آخر أسقف سيم لهذه البلاد موجوداً فى تلك الديار فى أيام الفتح العثمانى. ويستفاد مما كتبه البابا يوانس الثالث عشر البطريك (94) فى طرس البركة الصادر منه بتاريخ يوم الاثنين الموافق 29 كيهك سنة 1225ش الذى يقابله بالتاريخ الميلادى الغربى سنة 1508م أن كرسى الخمس المدن الغربية كان ضمن الكراسى التى لم يتمكن أصحابها من الذهاب اليها وتركوها فى مستهل الجيل السادس عشر للميلاد وكان يشغل هذا الكرسى قرياقص مطران الخمس مدن الغربية واعتقى من خدمته لحوادث طارئة أيام أن احتل العثمانيون هذه البلاد وهجر كرسيه واقام فى جبل شيهات معتزلاً الحياة ودعى اسمه ساويرس وله مؤلفات فى دير السريان الذى اتخذه محلاً لاقامته (مقال العلامة جرجس فيلوثاوس عوض فى مجلة الحياة ص 229 و 230 سنة 1941).

### أحوال القبط

فى الجيل الخامس عشر الميلادى

#### 1 - موجز تاريخى لسلطين مصر فى هذا الجيل

قامت دولة المماليك الشركسة التى أسسها السلطان برقوق منذ سنة 1382 ميلادية إلى سنة 1517 ميلادية وقد تقدم ذكر حوادث القبط فى أول عهد حكم هذه الدولة فى تاريخ البابا متاوس الأول البطريك (87).

ونذكر الآن الحوادث التى وقعت بالقبط فى عصر البطاركة البابا غبريال الخامس البطريك (88) والبابا يوانس الحادى عشر البطريك (89) والبابا متاوس الثانى البطريك (90) والبابا غبريال السادس البطريك (91) والبابا ميخائيل الرابع البطريك (92) والبابا يوحنا الثانى عشر البطريك (93) والبابا يوحنا السادس عشر البطريك (94) أى منذ أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق إلى أيام السلطان الأشرف طومان باى أى مدة حكم دولة المماليك الشركسة فقد تولى السلطان فرج بن

برقوق بعد أبيه السلطان بقوق وقد ذاق القبط فى أيامه مر العذاب على يد الأمير سودون الذى قاوم اضطهاده البابا متاوس الأول فى آخر أيامه بشجاعة وجرأة حتى إمتلأ الأمير خوفاً من تهديدات البابا له بالإستعانة بملوك النصارى فى العالم حتى تعجب الشعب من قوة دفاع البابا المذكور وسداد رأيه ويقظته وسهره على شعب الله وقدم الشكر لله تعالى على خلاصهم من شدة هذه التجارب والمحن (ذيل ابن المقفع كتاب 15ص 286 و287 وذيل فوه ص 173 و174).

وقد كانت نهاية السلطان فرج الحكم عليه بالاعدام فى 25 محرم سنة 815هـ الموافقة (12 بشنس سنة 1128ش و7 مايو سنة 1412م) وأصبحت بعده السلطة بيد الامام المستعين بالله الذى لم تطل أيامه فلم تتعد سنة 1412 الميلادية حيث قام أحد امراء المماليك المدعو أبا نصر الملقب بالشيخ المحمودى الظاهرى واستلم زمام الحكم ونفى المستعين بالله إلى الاسكندرية واصبح يلقب بالسلطان الشيخ المحمودى وظل فى الحكم إلى سنة 1421 ميلادية واقيم بعده على كرسى السلطنة المصرية ولده شهاب الدين أحمد الملقب بالملك المظفر فى سنة 1421 ميلادية ثم تخلى عن الملك لوصيه وحميمه سيف الدين تتر الملك الملقب بالملك الظاهر ولكن هذا الأخير توفى فى نفس السنة المذكورة وبويع ابنه ناصر الدين محمد ولقب بالملك الصالح وبعد أربعة أشهر خلفه وصيّه سيف الدين برسباى ففضى باقى حياته فى الشقاء وتولى السلطنة بعده برسباى ولقب بالملك الأشرف برسباى فى 8 ربيع آخر سنة 825هـ (6برموده سنة 1138ش وأول أبريل سنة 1422م) وبعد أن حكم مدة 17 سنة و8 شهور و6أيام قضى يوم السبت فى 13 ذى الحجة سنة 841هـ (13 بؤونة سنة 1154ش و7يونيه سنة 1438م). فبويع ابنه جمال الدين يوسف الملقب بأبى المحاسن ولقب بالملك العزيز وبعد ثلاثة أشهر من مبايعته تخاصم ممالিকে وسيف الدين جقمق اتابك جيشه خصاماً انتهى بعزله ومباعية جقمق فى 19 ربيع أول سنة 842هـ (12توت سنة 1155ش 9 سبتمبر سنة 1438م) باسم الملك الظاهر جقمق وظل فى الحكم من سنة 842 إلى سنة 857هـ (من سنة 1438م إلى 1453م) حيث تنازل عن السلطنة لابنه فخر الدين عثمان. فبويع فخر الدين ولقب بالملك المنصور ولكنه لم يلبث سنة 1453م التى تولى فيها حيث خلع وتولى بعده الملك الأشرف إينال من سنة 857 . 865هـ (1453م إلى 1460م) وبعد وفاته فى يوم الخميس 15 جمادى الأولى سنة 865هـ (2 برمهاة سنة 1177ش و27 فبراير سنة 1460م)

تولى بعده ابنه شهاب الدين أحمد الملقب بأبى الفتح باسم السلطان المؤيد أحمد بن إينال ولكنه لم يحكم سوى أربعة أشهر وتولى بعده السلطان خوش قدم المعروف بالناصرى باسم السلطان الظاهر وتولى الحكم من سنة 865هـ إلى سنة 872هـ (1461 ميلادية إلى 1467م) وتوفى فى 10 ربيع أول سنة 872هـ (11 بابيه سنة 1184ش 8 أكتوبر سنة 1467م) ثم تولى بعده الملك الظاهر بلباى وخلع بعد 66 يوما من توليته وأقاموا بعده الأمير أبا سعيد تماربوغا ولقبوه بالملك الظاهر تماربوغا وخلع بعد شهرين ثم تولى بعده السلطنة الملك الأشرف قايتباى وكان من مماليك جقمق وظل فى الحكم من سنة 1467 إلى سنة 1495م حيث توفى فى 22 ذى القعدة سنة 901هـ (9 مسرى سنة 1212ش و2 أغسطس سنة 1495م).

ويعد وفاته تولى السلطنة على التوالى فى المدة من سنة 1495م إلى 1501م خمسة سلاطين آخرهم الملك العادل طومان باى ثم تولى بعدهم السلطان قنسوا الغورى من سنة 1501م إلى 1516م ولما مات قتيلًا أثناء محاربتة الجيوش العثمانية تولى بعده ابن أخيه طومان باى ولقبوه بالملك الأشرف طومان باى وحارب العثمانيين وانكسر وقبض عليه السلطان سليم وأمر بشنقه فى 19 ربيع أول سنة 932هـ (16 برمودة سنة 1233ش و11 أبريل سنة 1517م) فعلقوه تحت رواق باب زويله.

وبقتل طومان باى انتهت دولة المماليك الشركسة أو البرجية التى أسسها السلطان برقوق وتسلطت نحو 139 سنة ومن ذلك الحين أصبحت مصر إحدى الأيالات العثمانية الكبيرة.

## 2 - حالة القبط فى عهد دولة المماليك الشركسة

ما انتهى الجيل الرابع عشر بمصائبه التى حلت بالقبط وباقى نصارى مصر واليهود هلّ الجيل الخامس عشر بتجديد هذا الاضطهاد كما تقدم ذكر مقتطفات من حوادثه فى تواريخ البطارقة المتقدم ذكرها.

وقد اضرت حوادث الاضطهاد كثيراً بالمسلمين والنصارى ولم يخل الحال من وجود تواطىء واتفاق سوى على إيقاع الضرر بالنصارى قامت دسائس المماليك على إيثاره لأنهم كانوا يحسدون القبط على ما بين أيديهم من أعمال الدولة وما لهم من النفوذ فى الدواوين فاستعانوا على تنفيذ مآربهم بالأوباش الذين كانوا فى ضنك بسبب مظالم الحكام (تاريخ الأمة القبطية ص236).

ولما علم ملك الأحباش بما حل بنصارى مصر أرسل رسولا بكتاب إلى السلطان يعاقبه فيه على هدم الكنائس وقتل الأبرياء ويذكره بالمعاهدات التي بين سلفائه وملوك مصر السالفين وطلب إليه أن يعيد بناء الكنائس التي خربت والآ يهدم كل جوامع المسلمين التي ببلاده. ولكن السلطان الناصر صرف الرسول بغير جواب غير أنه لما هدأت الحال وعاد النظام لم يفت السلطان مصالحة أفكار النصارى بأن صرح لهم ببناء بعض الكنائس التي هدمت وذلك بناء على طلبهم ذلك منه على شرط أن لا يوسعوا فيها أو يزيدوا عليها شيئاً مما كانت عليه قبل الهدم يغر أن بعضها هدم بعد تمام عمارتها بدعوى أنها لم تبني على حالتها القديمة وأنهم زادوا في زخرفتها وإعلاء بنائها (تاريخ الأمة القبطية ص 237).

وبعد عزل الملك الناصر فرج تولى بعده أخيه السلطان عز الدين عبد العزيز سنة 1405م وبعد شهرين من توليته عزل وتولى بعده ثانياً السلطان الناصر فرج إلى أن خلع من السلطنة في سنة 1412 وقتل وتولى بعده خمسة سلاطين حتى سنة 1438م ووقعت البلاد في أثناء هذه المدة في الفوضى بسبب قتال المماليك مع بعضهم ومحاولة كل فريق منهم الإستيلاء على البلاد والاستقلال بها أما أعمال الحكومة ودواوينها فكانت في قبضة يد الموظفين المصريين من النصارى الذين اسلموا والباقيين على دينهم فقاموا بها أحسن قيام ولذا راجت حال النصارى وتمتعوا بمالهم من الحقوق الوطنية بمساواتهم بالمسلمين فعادوا إلى التظاهر والتجمل باللباس والتأنق في المأكّل وركوب جياد الخيل واتخاذ الخدم وشراء العبيد والجواري (تاريخ الأمة القبطية ص 239 و240).

وفي أيام السلطان الأشرف برسباي الملك السادس بعد سلطنة الناصر فرج الأول رُزئت البلاد في سنة 1429 وباء يسمى الموت الاسود ففتك بأهلها فتكا ذريعاً واستأصل عائلات كثيرة وإذ لم يبق منها أحد كان نائب السلطان وغيره من الأمراء المماليك يستولون على متروكاتهم وأملاكهم مسلمين كانوا أو نصارى حتى اليهود وقال المقريزي في خطبه أن وطأة هذا الوباء كانت شديدة جداً حيث هلك به في مدينة مصر وحدها في يوم واحد خمسة عشر ألف نفس فكان هذا الوباء مصيبة أخرى على مصر وأهلها وقد عاود هذا الوباء الظهور في مصر في أيام ابن السلطان الأشرف الملك العزيز يوسف في سنة 1438م وكان وباء عظيماً أيضاً فتك

بالناس فتكا مريعاً (التوفيقات الالهامية ص 417 و 421) وتاريخ الأمة القبطية ص (240).

وقد اختل النظام فى البلاد وفشل حال الرعية فى أيام المماليك الشراكسة المتقدم ذكرهم فتم علل يدهم خراب البلاد وعم الشقاء جميع الرعية ونقص عدد المصريين نقصاً بيئياً بسبب هذه البلايا والطاعون والأوبئة والغلاء والقحط المستمر. أما عدد الاقباط فنقص كثيراً جداً بسبب مظالم الحكام والآفات الربانية من جهة وإقبال الكثير منهم على الاسلام إما طوعاً وإما كرهاً.

ولما كثر الاسلام بين القبط نفر المسلمون منهم لأنهم كانوا يزامونهم فى الوظائف الادارية العالية فبعضوهم وهكذا لم يقدرُوا أن يرضوهم سواء أسلموا أو بقوا على دينهم ولذا نثر بعض القبط منهم الموت على هذه العيشة المرة وقيل أن كثيراً من سكان الأرياف أتوا إلى مصر ذات يوم ودخلوها بضجة عظيمة منادين على رؤوس الاشهاد انهم عادوا إلى دينهم القديم وأنهم لا يتحولون عنه ولو قطعت رقابهم فقبضوا على أكثرهم وقتلوهم وقبض أيضاً على بعض النساء واشتكى عليهن بذلك فأمر القاضى بقطع أعناقهن. فاستقبح الناس حتى المسلمين هذا الحكم وعيروا القاضى به.

وآدعى أيضاً على آخر بأن جده كان أسلم وسمى بعلم الدين حصلت بينه وبين أحد الأمراء منافسة فآدعى عليه بشهادة بعض الشهود الكاذبين أنه يدعى الاسلام وهو لا يزال باقيا على نصرانيته وزوجته باقية على دين النصارى ولم يتركها أو يكرها على الاسلام واستفتى العلماء فافتوا بان من كانت هذه حاله فإنه يستحق الحرق لا محالة. فقبضوا عليه وصاروا يعذبونه حتى مات. وكان ذا ثروة طائلة فاستولوا على كل ماله ونهبوا داره وأحضرُوا زوجته وصاروا يضربونها بالسياط أمامه حتى ماتت وقتلوا ابنه أيضاً قبل موته (تاريخ الامة القبطية ص 241 و 242).

واكتشف سلاطين المماليك خلال هذه المدة اهتمام الاحباش بعقد محالفة مع ملوك الافرنج لغرض محاربة المسلمين وتخليص مصر وسوريا من يدهم وذلك بأن الاحباش يهاجمونهم براً والافرنج بحراً. وكان الذى أخذ على عهده إتمام هذه المعاهدة السرية رجل تاجر نصرانى تزيًا بزى مسلم وخرج من بلاد الحبش ووصل إلى مصر ومنها أفلح إلى بلاد الافرنج. فبعد أن تم الاتفاق مع ملوكها على الكيفية التى اقترحها ملك الحبشة بأن يكون منقوشا على ثياب العساكر سواء كانوا من

الافرنج أو الاحباش اسم ملك الحبش "هاتى" أفل عائداً إلى مصر قاصداً البلاد التى خرج منها. ولكن لدى وصوله إلى ميناء الاسكندرية أفضى سره عبد أسود كان معه فهجم حاكم المدينة على المركب الذى كان فيه وفتشه فوجد معه الثياب وبعض الاسلحة كما قال العبد فقبض عليه واعتقله وأرسله إلى السلطان فى القاهرة فاقتى العلماء والقاضى بقتله فاركبه على جمل وطافوا به شوارع القاهرة ومصر وبولاق وأمامه مناد ينادى قائلاً: "هذا جزاء كل خائن منافق يتلاعب بالأديان" وبعد ذلك ضرب عنقه بالسيف بحضور جم غفير من الناس (الامة القبطية ص 242 و243).

أما الأقباط الذين قد علمتهم التجارب ولا سيما ما لحقهم من الحروب الصليبية وما جرى لهم من الافرنج فاستعملوا الحزم والحكمة بأن قطعوا علاقاتهم مع الحبش بسبب هذه الحادثة وظلت معطلة مدة من الزمن حتى كادت الأمتان تتفصلان عن بعضهما بدسائس البرتغاليين المتسيطرين على الحبشة وقتئذ ولكن الله لطف بأمتة وتغيرت الاحوال وعادت العلاقات بينها وبين الحبشة إلى ما كانت عليه حتى الآن.

وفى سنة 1484م هجم عرب الوجه القبلى على دبرى أنطونيوس وبولا وقتلوا جميع من فيهما من الرهبان وبقياً خراباً نحواً من ثمانين سنة وكان فيهما مكتبتان عظيمتان تحتويان على عدد عظيم من الكتب القديمة الثمينة فجمعها العرب وأحرقوها عن آخرها ولم يبق منها إلا ما خفى عن عيونهم (تاريخ الأمة القبطية ليعقوب بك نخله ص 243 و244).